

ياسر سليم

أطفال الخلاوي
ضحايا
الدولة والمجتمع



فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر- السودان
179-2 ياسر سليم على شلبي - 1970- ي أ
أطفال الخلاوي ضحايا الدولة والمجتمع
ياسر سليم على شلبي - ط - 1 الخرطوم :
ي.س.ع.شلبي، 2022
150 ص، 24 سم
ISBN 5-637-0-99988-978 ردمك
1 - القسوة على الأطفال. 2 - الأطفال- الحياة الدينية
رقم الإيداع القانوني
(2022/002490405)

البريد الالكتروني:

yas_shalabi@yahoo.com

تقديم

دكتور: ياسر محمد موسى

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا وبعد...

ما أصعب أن تنال شرف التقديم لكتاب، وأي صعوبة تلك عندما يكون الأطفال زينة الحياة الدنيا وبهجتها نصف حاضر الزمن وكل المستقبل، هم من قصد الكتاب الذي بين أيدينا التنبيه لهم صوناً للحياة حماية نماء ورفاه، أما ما هو أكثر من الصعوبة تعقيداً هو أن الأطفال المقصودين هم أطفال الخلاوي!!! كتاب بهذه الشجاعة والمسئولية عنوانه (أطفال الخلاوي ضحايا الدولة والمجتمع) لهو جدير بالاهتمام.

مؤلف كتاب أطفال الخلاوي ضحايا الدولة والمجتمع هو خبير حقوق الطفل على المستويين الوطني والإقليمي، وأحد أكثر الذين ساهموا في مناصرة حقوق الطفل وإحداث التغيير على مستوى السياسات والتشريعات، والضغط والتيسير على مستوى التطبيق، هو الأستاذ ياسر سليم شلبي من مواليد وادي حلفا، جمع ما بين اللغة الإنجليزية عن كلية الآداب جامعة الخرطوم، والشريعة والقانون جامعة أم درمان الإسلامية، وعديد من المؤهلات العلمية ذات الصلة بحقوق الأطفال. عرفته ميادين الطفولة بالسودان وإفريقيا والوطن العربي

بمشاركاته الثرة، ومبادراته الذكية في نشر وتعميم حقوق الطفل وتطوير أساليب الحماية عبر منصبه كمدير تنفيذي لمعهد حقوق الطفل بالسودان، ومؤلفاته ومقالاته عبر الصحف والوسائط، إن شرف تقديم خبير حقوق الطفل مؤلف هذا الكتاب بقدر ما هو أمر رائع يبعث في النفس رضا وفخراً إلا أنني أشعر بالشفقة على نفسي من عظمة المسؤولية في تقديم من هو الأكثر التزاماً صدقاً وصرامة في العمل والتعامل مع حقوق الطفل، وكل صفات الشجاعة والمواجهة في الحق التي يتحلى بها كاتبنا وكأني بشاعرنا الكبير أدريس جماع، قد خصه ببيت الشعر في قصيدته عن الشاعر..

هين تستخفه بسمة الطفل .. قوي يصارع الأجيالا

ظلت الخلاوي بأسوارها البالية وفناعتها المظلمة وأساليبها التي عفت عنها العصور الوسطى في التعليم مصدراً لقلق المربين والمدافعين عن حقوق الأطفال في الحياة والحماية من أشكال العنف، ولا تنتهي صدمة المجتمع من حادثة ضحيتها طفل بالخلاوي إلا ويحدث ما هو أفزع وأكثر وحشية؛ كانت هذه أهم الأسباب التي دفعت مؤلف هذا العمل لكتابة كتاب خاص عنوانه (أطفال الخلاوي ضحايا الدولة والمجتمع) بالحجم المتوسط أهم ما يميزه أنه محترم اللغة، لم يسخر أو يستهزأ، عالج المفهوم من خلال إطار المفهوم، اعتمد على نصوص القرآن وأحاديث دون أن يسقط في بئر ونفق الفقه ومجادلة التفسير، أعطى كل ذي حق حقه، حفظ للخلاوي دورها في نشر التعليم وحفظ القرآن في زمان غير هذا الزمان، وهنا جاءت واقعية الكتاب وفلسفته، كما التزم المؤلف بموضوع الكتاب الأساس وهو الطفل كيف لا وهو

خبير الطفولة لا ينشد إلا واقعاً أفضل يعيشه الطفل السوداني، فلم يطلق المؤلف خياله للتلفيق أو التجريم بل عمد إلى مخاطبة العقل والضمير الإنساني مسلماً بعظمة القرآن ومطالباً بأن تكون الخلاوي جديرة بكتاب الله وحفظه، وهو أمر لو تفهمه دعاة الخلاوي وحراسها لناصروه وعملوا على تطبيقه واقعاً.

جاء الكتاب في ستة فصول، تناول الأول منها خلفية عامة عن الخلاوي، حرص الكاتب أن تكون موثقة بالمراجع التي استند عليها والتي تمثل وزناً في المعرفة والمكتبة السودانية، أما الفصل الثاني والذي تناول التزامات الدولة تجاه الأطفال عرض خلاله الكاتب الموثيق الدولية والمعاهدات والتشريعات الوطنية وصولاً للوثيقة الدستورية والتي تمثل الدستور العامل، وهو بهذا يشير إلى أن عدم ايفاء الدولة بالتزاماتها التي أقرتها وصادقت عليها يجعل من أطفال الخلاوي ضحايا بكل وضوح للدولة، تناول الفصل الثالث للكتاب واقع الخلاوي أراد به الكاتب أن يصرخ في وادي الإنسانية إذ كيف لمؤسسات داخل دولة عصرية يؤمها الأطفال من كل بقاع الوطن تفعل ما تريد بالأطفال دون رقابة أو غطاء إداري رسمي؛ يأذن لها بالعمل وفق مواصفات تقرها الدولة وجهات الاختصاص، لا تبعية إدارية لها ولا يوجد جسم حكومي يقوم بتحديد مواصفاتها وقياسها على ضوء حقوق الأطفال وكرامتهم ومناهج التعليم العصرية، ناهيك عن عظمة القرآن الكريم، والتي تستحق أن تدرس في أفخم القاعات وبأحدث الوسائل، استند الكاتب في هذا الفصل على مراجع رسمية من تقارير المجلس القومي للطفولة والمشاهدات التي وفرتها الدراسات والبحوث، لم يلجأ الكاتب

إلى التجريم أو الإساءة كما يتصوره القارئ من خلال عنوان الفصل، بل عمل على مقارنة واقع الخلاوي وقرها وفقر معلمها بما أقرته نظريات التعلم وتنتهجه وزارة التربية والتعليم التي هي من ذات الدولة التي تغض البصر عن واقع الخلاوي، أما الفصل الرابع فقد تناول أطفال الخلاوي والإعلام السوداني، جمع الكاتب خلاله عدداً من مقالات نشرت بالصحف السودانية في فترات زمنية متفاوتة حتى لا يظن القارئ أن للكتاب هدفاً غير كلمة حق في واقع يجب أن نسعى لتغييره، محرري هذه المقالات يمثلون قيادات للرأي العام ومحل ثقة بالسلطة الرابعة وهي الإعلام، لم يسعى المؤلف لتعصيد فكرته أو محاولة تأكيد صدقه، بل أراد أن يضع القارئ أمام حقيقة هي أن القضية قضية مجتمع ودولة تنقصها الإرادة لمطابقة القول بالفعل.

جاء الفصل الخامس تحت عنوان نحو خلاوي جديرة بالقرآن الكريم، قدم فيه المؤلف إطاراً مرجعياً فيه تيسيراً للدولة ودعاة الخلاوي أن كيف تجعل من الخلاوي مكاناً يليق بكتاب الله وكلامه القرآن وكأني به قد أراد أن يوضح أنه لا خلاف ولا تعارض بين ديننا الحنيف وحقوق الطفل، فقد حفظها القرآن قبلاً ولو عملنا بما جاء لما كان الواقع كما هو اليوم، فالرحمة واللين وحسن القول والنظافة ومراعاة الكرامة وحفظ الجوارح وحسن التربية واحترام الكبير وتوقير الصغير كلها وغيرها من معان الإسلام دين المعاملة، استند الكاتب فيه على نصوص القرآن وعلى السنة المحمدية، كما أوضح خلاله مساهمات علماء المسلمين في طرق التعليم التي كانت مصدراً لطرق التعليم الحديثة، قدم المؤلف خدمة علمية كبيرة للذين يدافعون عن

استمرار الخلاوي، كان الأخرى بهم أن يقدموها هم، وجبت الشكر منهم لهذا الكتاب،

تناول الفصل السادس الخاتمة وخلالها لم يترك المؤلف للقارئ أن يتيه في غياهب الخروج من هذا النفق فعمد على ترتيب الحلول وذلك بإجراء مناقشة موضوعية للقوانين واللوائح والتوصيات التي تذخر بها مؤسسات الدولة من وزارة التربية والتعليم والمجلس القومي للطفولة ومنظمات المجتمع المدني للطفولة، راسماً بها الكاتب المؤلف خارطة طريق من شأنها أن تحدث تغييراً كبيراً ومقبولاً لواقع حقوق أطفال الخلاوي لا ينقصها كما جاء إلا الإرادة السياسية التي من واجبها حماية الأطفال وصون كرامتهم لغد مشرق يكونون هم فيه قادة الوطن وسواعده.

هذا الكتاب يمثل حجراً ألقى به مؤلفه الأستاذ ياسر سليم شلبي والذي اعتبره ويعتبره كل من عمل معه وعرفه في ميادين العمل مع الأطفال ضميراً وطنياً حياً وحارساً أميناً لحقوق الطفل السوداني في خضم المياه الراكدة، سيجد القارئ بين يديه كتاباً واضحاً يخلو من الإطالة المخلة، قليل كلامه وعظيم في رسالته، جاءت صفحاته سلسلة جاذبة، لن تتركه أيها القارئ الكريم إلا بأخر كلماته، وهنا تكمن مهارة المؤلف في احترامك واحترام العصر ومتطلبات القراءة المفيدة إذ خير الكلام ما قل ودل، أسأله تعالى أن يكون سبباً في تغيير واقع أطفال الخلاوي وكل الأطفال بوطننا الحبيب.

المحتويات

- 9..... مقدمة:
- 13.....-الفصل الأول: خلفية عامة عن الخلاوي
- 8.....- الفصل الثاني: التزامات الدولة تجاه الأطفال
- 8.....- الفصل الثالث: واقع الخلاوي
- 8.....- الفصل الرابع: أطفال الخلاوي والاعلام السوداني
- 8.....- الفصل الخامس: نحو خلاوي جديدة بالقرآن الكريم
- 8.....- الفصل السادس: الخاتمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين يأمر بالرحمة وهو أرحم الراحمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم المنعوت في التنزيل بالخلق العظيم، والذي أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أقوم الناس ديناً وأغزهم علماً وأشجعهم قلباً، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

نسأل الله ربَّ العرش العظيم أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، اجتهدنا فيه من أجل الإصلاح وتغيير واقع الخلاوي، لا خير فينا إذا لم ننقله، تَجِيلاً لكتاب الله - سبحانه وتعالى - وتعظيماً لسُنن نبيه عليه الصلاة والسلام، وللوقوف أمام ما لا يستقيم مع تعاليم كتابه الكريم، لا خير فينا إذا لم نعمل على تغيير وإصلاح هذا الواقع؛ لتكون خلاوي جديدة حقاً بكتاب الله تعالى العزيز الكريم وبما أنزل فيه، وبسُنَّة وهُدْي نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام. لقد جعل - سبحانه وتعالى - خيرية هذه الأمة وتميُّزها، منوطاً بقيامها بالحق وإظهاره، والنشر له. يدعونا الإسلام إلى الصلاح والإصلاح معاً، يقول تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.. (آل عمران: 110) إذن فهي أمة أُخرجت لما فيه صالح للناس. ولا يتحقق الصلاح إلا بتحقيق التغيير والإصلاح. ولم يرضَ الله أن يكون المسلم صادقًا فحسب، بل دعاه إلى أن يكون مع الصادقين (يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: 119).

إن الواقع المليء بالانتهاكات والممارسات والفضائع التي تحدث داخل هذه الخلاوي، والذي هو منكر تنكره النفوس السليمة وتتأذى به، وهو مناقض لتعاليم كتاب الله، لشريحةٍ لا حول لها ولا قوة من الأطفال الذين قال عنهم رسول الله عليه الصلَام والسلام إنهم رُفِع عنهم القلم، - هو ظلم لا نرضاه لأطفالنا وواقع علينا تغييره وإلا عمَّنا الله بعقاب من عنده: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال: 25). لا نود أن نكون من الذين لا يرضون لأطفالهم هذا الواقع ويرضونه لأطفال الخلاوي ويدافعون عنه! وهم يعلمون تمامًا هذا الواقع. لقد ذكر الغزالي في قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ)، هوانكارٌ عليهم من حيث تركهم المعروف، لا من حيث أمرهم، ولكنَّ أمرهم دلَّ على قوة علمهم، وعقاب العالمِ أشد؛ لأنه لا عذر له مع قوة علمه. إذا كانوا قد رضوا بهذا الواقع... لماذا لا يرسلون أطفالهم إلى هذه الخلاوي!! كما قال تعالى: (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ). وقد نهانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تمنعنا مخافة الناس من قول كلمة الحق، كما في حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: (لا يُحَقَّرُ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ). قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: (يرى أمر الله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله - عزَّ وجلَّ - له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فأياي كنت أحق أن تخشى). (ابن ماجة). يكفي وصف السلف - عليه السلام - لمن صمت عن قول الحق بالشیطان الأخرس وللناطق بالباطل شیطان ناطق. إن الصامت على ما يجب تغييره من هذا الواقع، أو كتمان عرض هذا الواقع، أو كما يفعل البعض بتحريفه، قد ذمَّه الله تعالى بقوله: (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: 135). وجاء في تفسير ابن كثير، تلووا تعني: تُحَرَّفُوا الشهادة، واللَّيُّ التحريف وتعمُّد الكذب ومعنى الإعراض هو كتمان الشهادة وتركها.

الغريب في أمر الذين يرفضون تغيير واقع الخلاوي، أنهم يعرفون بيئتها جيداً ولا يُلحِقون أطفالهم أبداً بها، بل يرسلونهم إلى أفضل المدارس ذات البيئة المدرسية الجاذبة والنظيفة والتي بها كل وسائل التعليم الحديثة؛ وهنا تبرز الأنايية والنظرة التمييزية الظالمة التي تآبى إلا أن تترك الخلاوي هكذا وتستكثر عليها المطالبة بتغيير بيئتها وواقعها للأفضل وأن تكون لها تبعية حقيقية واضحة، مثل بقية مؤسسات التعليم وإداراتها من شروط ومعايير للتصديق وتحديد للأعمار والتفتيش والمراقبة والحاسبة... إلخ. عجباً! يريدون تحنيطها لتكون كمعروض للتراث أو متحف أثري، يحرصون على عدم تغيير واقعها، وأن يستمر التعليم فيها عبر اللوح الذي يُصنَع من خشب

الشجر والقلم الذي يُصنع من البوص والحبر من بودة السكن، بينما يمسك أطفالهم بالأقلام والتابلت والمصحف الإلكتروني! وهم يشاهدون حولنا في الدول العربية والإسلامية، كيف تطورت الخلاوي أو ما تُعرف بالكتاتيب تعظيمًا لكتاب الله الكريم.

لقد كان الفاروق - رضي الله عنه - يقول: "إني أخاف أن أخطئ فلا يرديني أحد منكم تهيبًا مني". وجاءه يومًا رجلٌ فقال له: اتَّقِ الله يا عمر، فغضب من حوله وأرادوا أن يُسكتوه عن الكلام، فقال لهم عمر: لا خيرَ فيكم إن لم تقولوها ولا خيرَ فينا إن لم نقبلها منكم^(١) وهكذا كان الأمر. نهدف أن يعمل هذا الكتاب على عكس الواقع بوضوح ومناصرة أطفال الخلاوي وتغيير واقعهم إلى الأفضل، وهم يستحقون ذلك.

الجدير بالذكر، أنه على مدى قرون، ظلت الخلاوي في السودان من أكبر المنارات الدينية التي أسهمت في حفظ القرآن وتجويده في السودان، وهذه حقيقة لا ينكرها إلا مكابر وأمر لا ينتطح فيه عنزان. إن غياب جميع الأسس والقواعد لقيام الخلاوي وإهمال طلابها، جعلها تتراجع القهقرى، فانتشرت عشرات الخلاوي التي تختلف تمامًا عن سابقتها، وهي خلاوي تنتهك كل ما نجده من تعاليم في كتاب الله الكريم وسُنَّة نبيه عليه الصلاة والسلام، وهذه التي نعنيها ونأمل في إصلاحها لتكون جديرة بالقرآن الكريم الذي يتم تلاوته فيها. وعمومًا، عندما نتحدث عن الواقع السيئ للخلاوي، فمن البدهي أن يكون فيها الطيب والسيئ، فاللفظ العام يخصه مقصدنا؛ فنقدك للرجال يعني

(١) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

أَنْكَ تَقْصِدُ السَّيِّئَ مِنْهُمْ وَلَا يَعْنِي أَنْكَ تَقْصِدُ أَنْ كُلَّ الرِّجَالِ سَيِّئُونَ،
وهكذا. قال ابن تيمية: "من فصيح الكلام وجيِّده الإِطلاق والتعميم عند
ظهور قصد التخصيص والتقييد، وعلى هذه الطريقة الخطاب الوارد
في الكتاب والسُّنَّة وكلام العلماء، بل وكل كلام فصيح، فإنَّ التعرُّض
عند كل مسألة لقيودها وشروطها تعجُّرٌ وتكلفٌ، وخروج عن سَنَنِ
البيان، وإضاعة للمقصود وهو يعكس على مقصود البيان"^(٢).

إن كنا قد وُقِّقنا فهذا من فضل الله وإن كنا قد قصرنا فهذه
شيمة الإنسان، يقول المزني: "قرأت كتاب (الرسالة) على الإمام
الشافعي ثمانين مرة، فما من مرةٍ إلا كان يقف على خطأ، فقال:
الشافعي: هَيْه - أَي حَسْبُكَ وَاكْفُفْ - أَبَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ كِتَابٌ صَحِيحًا
غَيْرَ كِتَابِهِ)، وكما قال النيسابوري:

كَمْ مِنْ كِتَابٍ قَدْ تَصَفَّحْتُهُ وَقَلَّتْ فِي نَفْسِي أَصْلَحْتُهُ
حَتَّى إِذَا طَالَعْتُهُ ثَانِيًا وَجَدْتِ تَصْحِيفًا فَصَحَّحْتُهُ
وقال الحريري:

وَإِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدِّ الْخَلَا فَجَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
وختامًا، فإنَّ طبيعة القصور البشري تستوجب ألاَّ يعتقد أحد في
عمله الكمال، كما قال تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا). صدق الله العظيم.

(٢) ابن تيمية، كتاب تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، اثار شيخ الاسلام ابن تيمية،
مطبوعات مجمع الفقه الاسلامي، جدة، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع، تحقيق على بن
محمد العمران، محمد عزيز شرف، بكر بن عبدالله بوزيد، بتمويل مؤسسة الراجحي الخيرية

الفصل الأول

خلفية عامة عن الخلايا

خلفية عامة عن الخلاوي

تُعد الخلاوي القرآنية الحقيقية في السودان أهم وأعظم روافد التعليم في بداية دخول الإسلام في السودان، حيث نجدها ساعدت مساعدة فعّالة في تعليم القرآن الكريم بجانب تعليم القراءة والكتابة والعلوم الأخرى.

الْخَلْوَة وجمعها الخلاوي (على ما جرى به العُرف في السودان)، وإن كان أصل الجمع الْخَلَوَات. اسم "الخلوة" تسمية محلية واستعمال خاص بأهل السودان، وهي دار تعليم القرآن الكريم وتعلّمه، نشأت منذ بداية التعليم الديني، وربما كان الأصل في التسمية أنّ الشيوخ كانوا يتفرغون لتعليم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، ثم يتخذ كل واحد منهم لنفسه خلوة يتعبّد فيها ويُقرئ القرآن ويعلم الناس أمور دينهم^(٣).

الخلاوي هي مدارس قرآنية في السودان أشبه بمدارس الكتاتيب في مصر (المفرد: خَلْوَة وجمعها: خلاوي)، ولها دور مهم وأساسي في تاريخ التعليم في السودان، وكان أول ظهور لها أثناء حكم الشيخ عجيب المانجلك (١٥٧٠-١٦١١) وقيل قبل ذلك^(٤). تُعرف الخلاوي أيضاً، بأنّها مؤسسة تربوية تركز أساساً على تحفيظ القرآن، والأحاديث النبوية، والفقه ويُشرف على التدريس فيها

٣- أحمد علي الأمام، الخلوة والعودة للخلوة، دار جامعة القرآن الكريم، ٢٠٠٧

٤- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

معلم واحد وهو الفكي أو الشيخ، والخلوة مكان متواضع يجلس فيه التلاميذ على الأرض ولكلِّ لوحٍ من خشبٍ كُتبت عليه السورة أو جزءٌ منها لحفظها^(٥).

يقول الأستاذ الطيب محمد الطيب إن الخلوة في بلادنا لها ثلاثة معانٍ الأولى: الخلوة المكان يقصده المرء ليخلو فيه وينقطع عن الناس للذكر والعبادة وقد تكون الخلوة مبنى أو كهفاً أو جذع شجرة، وقد رأيتهم في منطقة (القلعة) يحفرون أشجار التبليدي من أعلى حتى قاعها، وينزل المختلي بالدرج ويمكث عدة أيام مختلياً في هذا المكان الوعر. الثاني: الخلوة التي يُدرس فيها القرآن ويكون بناؤها مما يتخذونه من الطوب اللبن أو الاحمر أو بيت الشجر ونحوه. الثالث: الأهالي في السودان يطلقون كلمة خلوة على الحجرة المخصصة نزلًا للضيوف، فهي كالديوان أو الصالون في البيوت الحضرية.. ففي كل القرى نجد الخلوة حتى أهل البادية يخصصون خيمةً مما يسكنون ويطلقون عليها اسم الخلوة، وهي هنا بالمعنى اللغوي من الخلو، والرجال الذين اشتهروا بالكرم من القبائل تكون في ساحتهم خلوة أو عدة خلوي. وخلوة تدريس القرآن أكثر شهرةً من الخلوة الأولى والثالثة، ولا تنصرف كلمة خلوة بدهاء إلا على خلوة تدريس القرآن. يُعرَف المُسيّد بأنه المكان الذي يجمع بين مدرسة القرآن والمُصلّى والسكن وأما إذا كانت مدرسة قرآن فحسب فهي خلوة، والمسيّد لا يُسمى مسيِّداً إلا إذا كانت الخلوة هي محور نشاطه فالمسيّد بلا خلوة لا يساوي شيئاً. كما يُذكر أن بداية تدريس القرآن الكريم في السودان ترجع إلى أزمان قديمة ربما للقرن الأول للهجرة لأنه أينما وُجد مسلمون وجد تعليم القرآن، لكنّه لا يوجد دليل موثق يؤكد متى بدأ تعليم وتدريس القرآن بالسودان تحديداً، أما الروايات الشفهية والمكتوبة فتُجمع على أن بداية دراسة القرآن

٥- حسن محمد النعيم، التعليم الأولي في السودان، ٢٠٠٧.

المنتظمة كانت في أرض دنقلا العجوز التي تُسمى اليوم (الغدار)، وكانت على يد غلام الله بن عايد الذي قدم للسودان نحو سبعين وثمانمائة للهجرة^(٦). عموماً، قامت بالسودان ممالك إسلامية تنافست في إكرام العلماء وتقديم الهبات لهم وتشجيعهم للهجرة إليها والاستقرار بها؛ لتحفيظ كتاب الله وتعليم العلوم الإسلامية المختلفة ومنها قامت الخلاوي، ولم يكن في ذلك الوقت نظام تعليمي معروف. عموماً، هناك روايات مختلفة حول تاريخ نشأة الخلوة، وكل رواية تركز على منطقة من مناطق السودان أو ترتبط بتاريخ قبيلة ما. يقول البروفسير قاسم بدري^(٧)، إنه بعد انتشار الإسلام في شمال وسط السودان في القرن السادس عشر الميلادي، اتخذ التعليم النمط الإسلامي التقليدي وهو دراسة القرآن الكريم ويقوم بهذا الواجب الفكي داخل الخلوة. ومن مظاهر الخلوة الفريدة عدم وجود سنٍّ محدّدة للطلبة إذ تتراوح أعمارهم بين السابعة وأواخر العشرين، وفي بعض الحالات توكل إلى كبار الطلبة مسؤوليات التدريس ويُسمح للناهبين منهم بفتح خلاوي يديرونها بأنفسهم. وعليه، فإن الخلوة بطريقةٍ ما كانت مؤسسة تقوم بتدريب المعلمين إلا أن عدد هذه الخلاوي كان مختصراً نوعاً ما، وعليه فإن عدداً قليلاً من الأطفال كانوا يجدون أماكن للدراسة. ووظيفة الفكي كانت أكبر من كونه مجرد معلم فقد كانت يده وسلطته مطلوقتين نحو طلابه ويمكنه في الواقع أن يعمل أي شيء لهم، فقد كان العقاب البدني هو السائد وليس ما يشذُّ عنه في هذه المؤسسات، والحفظ بالترديد هو طريقة التدريس المتبعة.

٦- الطيب محمد الطيب، كتاب المسيد، دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

٧- قاسم يوسف بدري، تاريخ التعليم في السودان، شبكة الألوكة، من بحث منشور في المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية، الخرطوم، ٢ صفر ١٤٠٣ هـ / www.alukah.net/social

تنتشر الخلوي في مختلف أنحاء السودان، ولا توجد إحصاءات دقيقة عن عدد الخلوي وانتشارها الجغرافي وعدد طلابها وشيوخها. تشير وزارة الإرشاد والأوقاف إلى أن عدد الخلوي (٢٧,٥٠٠) خلوة في السودان، بينما تشير وزارة الرعاية والضمان الاجتماعي إلى أن عدد الخلوي (٢,٣٥٣)، وأما وزارة التربية والتعليم فتشير إلى أن عددها (١,٦٠٠,٠٠٠)^(٨).

ويرى البروفسير سليمان عثمان، مدير جامعة القرآن الكريم أن عدد الخلوي في السودان، وفق إحصاء تقديري هو (٣٠,٠٠٠) خلوة^(٩).

إذا نظرنا بصورة عامة إلى التاريخ، فيذكر بروفسير محمد إبراهيم أبوسليم أنه، في العهد التركي، نال عدد كبير من الخلوي والمدارس والمسائد العون المادي من الحكومة، أحياناً مساعدة في البناء وغالباً لإعاشة الطلاب ورواتب للأساتذة، كما بُذلت محاولات كثيرة لترقية نمط التعليم الذي تقدمه هذه المؤسسات. في فترة المهديّة، كان يسمح بالخلوي إذا كان المعلم موضع الثقة. ففي رسالة من المهدي نقف على إجازة لبعض أنصاره بفتح خلوة لتعليم الصبيان وتحفيظ القرآن. وفي رسالة أخرى نقف على إجازة مماثلة ولكن بإضافة مهمة، وهي ألا يخرج شيخ الخلوة للجهاد إلا إذا خرج أمير الجهة إليه بنفسه، وهو شرط يدل على مكانة معلم الخلوة والاحترام الذي يحظى به^(١٠). نكر بروفسير عون الشريف قاسم، أنه في الأعوام التي تلت ١٩١٠ بدأت الحكومة تنظر إلى الخلوي كنظام مفيد لحياة الناس وكجزء ضروري من نظام

٨- تقرير حول واقع الخلوي، المجلس القومي لرعاية الطفولة ووزارة الرعاية الاجتماعية، فبراير ٢٠١٧.

٩- سليمان عثمان، نظم تعليم القرآن الكريم في السودان، نشر في السودان الإسلامي ٢٧ يناير ٢٠٠٧. استرجع في ٢ يوليو ٢٠٢٠ في سودابرس www.sudaress.com.

١٠- محمد إبراهيم أبوسليم، الحركة الفكرية في المهديّة، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٩.

التعليم، واعترفت بها الحكومة كمدرسة تهدف إلى خدمة المجتمع، وأنشئ قسم خاص لتفتيش الخلاوي في مصلحة المعارف، وخصّصت رواتب للشيخ كما تم إعداد مركز لتدريب الشيوخ. في عام ١٩٢٧، بدأت الخلاوي تتمدُّ المدارس الأولى بالتلاميذ؛ وكنتيجة للسياسة الجديدة ارتفع عدد الخلاوي المُعانة من ٦ عام ١٩١٨ إلى ٤٠٠ في عام ١٩٢٧ إلى ٤٨٩ عام ١٩٢٨ إلى ٧٦٨ عام ١٩٣٠. أشار تقرير لجنة ونتر الصادر في ٧ مارس ١٩٣٧، إلى إعانة الحكومة لـ ٦٨٩ خلوّة يؤمُّها ٢٥٠٠ طالب بمبلغ ٨٩٧٧ جنيهاً سنوياً. في السنوات ١٩٣٨-١٩٤٦، عُدَّت الخلاوي جزءاً لا يتجزأ من نظام التعليم وزيّدت إعانتها من ٦٣٩٣ جنيهاً في عام ١٩٣٨ إلى ٩٤٥٠ جنيهاً عام ١٩٤٣، غير أن عدد طلاب الخلاوي انخفض نتيجة لفتح المدارس الصغرى، وتحولت أعداد من الخلاوي إلى مدارس صغرى والتي بدأت تحلُّ محلَّ الخلاوي، ثم حلول المدرسة الأولى أو الكُتَّاب محل هذه. لقد رأينا أن تلك الخلاوي النموذجية التي أعانها الإنجليز كانت مصدرًا لمُدَّ كثير من المؤسسات التربوية بطلبتها، مثل كلية تدريب المعلمين أو ما عُرِف بمدرسة العُرَفَاء والقضاة الشرعيين^(١١).

هنالك العديد من الكتب والدراسات حول تاريخ الخلاوي في السودان ومدى انتشارها في مختلف أرجاء السودان المختلفة.

١١ - عون الشريف قاسم، الإسلام والعربية في السودان، دراسات في الحضارة واللغة، بيروت، دار الجيل، دار المأمون المحدودة بالخرطوم، ١٩٨٩.

الفصل الثاني

التزامات الدولة تجاه الأطفال

التزامات الدولة تجاه الأطفال

للسودان التزامات تجاه حقوق وحماية هؤلاء الأطفال؛ فلقد التزم بعهود ومواثيق تلزمه بالإيفاء بحقوق وحماية الأطفال دون تمييز. للإيفاء بالعهود مكانة معروفة في الإسلام ولقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بحفظ العهد وأكد عليه في كتابه، فيقول: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)^(١٢). (أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)^(١٣). (الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ)^(١٤). (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ)^(١٥). يصف الله تعالى الذين يوفون بالعهد بأحسن الصفات ومكارم الأخلاق: (وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا)^(١٦)، وقوله: (بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)^(١٧). (الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ)^(١٨). (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)^(١٩).

يفرض القرآن الكريم على المجتمع المسلم وعلى الدولة الالتزام بالعهود والمواثيق التي تبرمها مع الآخرين، وتؤكد الشريعة الإسلامية الالتزام بهذه

١٢ - سورة الإسراء (٣٤).

١٣ - سورة البقرة (١٠٠).

١٤ - الأنفال (٥٦).

١٥ - سورة المائدة (١٣).

١٦ - البقرة (١٧٧).

١٧ - آل عمران (٧٦).

١٨ - سورة الرعد (٢٠).

١٩ - المؤمنون (٨).

العهد مع الدول وحتى مع الأفراد المخالفين في العقيدة؛ لأن الالتزام بالعهد يضمن استمرار المجتمع ويحفظ الحقوق ويعطي البشرية استقراراً ونموً مُتكاملًا. يعدُّ الإسلام نقض العهد والمواثيق نقضاً للدين من أساسه^(٢٠). عكس هذه الصفة النفاق، كما صحَّ في الحديث: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان". وفي الحديث الآخر: "إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"^(٢١). جاء في كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها للخرائطي، عن أنس بن مالك قال: ما خطبنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلا قال: (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له). أخرج الإمام أحمد في مُسنَّده.

أضف إلى ذلك ما تنص عليه الوثيقة الدستورية على أن تحمي الدولة حقوق الطفل كما وردت في الاتفاقيات الدولية والإقليمية التي صادق عليها السودان^(٢٢)، وهذا إقرار واضح بالالتزامات الدولية والإقليمية فيما يلي حقوق الطفل. بمصادقة السودان على هذه المواثيق، تكون الحكومة قد ألزمت نفسها بحماية وضممان حقوق الأطفال. (نفس النص كان موجوداً في الدستور الانتقالي لسنة ٢٠٠٥ في المادة ٣٢ (٥): أن تحمي الدولة حقوق الطفل كما وردت في الاتفاقيات الدولية والإقليمية التي صادق عليها السودان).

وعليه سنبدأ بما تنصُّ عليه هذه المواثيق والعهد التي صادق عليها السودان وتُعرف بالالتزامات السودان. لقد التزم السودان وصادق على اتفاقية حقوق الطفل في نفس العام الذي دخلت فيه حيِّز النفاذ وهو عام ١٩٩٠. جاء

٢٠- علي أحمد الرياحنة، دراسة العهد والمواثيق في القرآن الكريم، كلية الشريعة، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٣.

٢١- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق.

٢٢- الوثيقة الدستورية للفترة الانتقالية في المادة (٥٠).

في ديباجة هذه الاتفاقية، أنه وفقاً للمبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة، يشكل الاعتراف بالكرامة المتأصلة لجميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية وغير القابلة للتصرف، أساس الحرية والعدالة والسلام في العالم، واقتناعاً بأن الأسرة، باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع والبيئة الطبيعية لنمو ورفاهية جميع أفرادها وبخاصة الأطفال، ينبغي أن تُولى الحماية والمساعدة اللزمتين لتتمكن من الاضطلاع الكامل بمسئولياتها داخل المجتمع، وإذ تقرُّ بأن الطفل؛ كي تترعع شخصيته ترعراً كاملاً ومتناسقاً، ينبغي أن ينشأ في بيئة عائلية في جوٍّ من السعادة والمحبة والتفاهم، وإذ ترى أنه ينبغي إعداد الطفل إعداداً كاملاً؛ ليحيا حياة فردية في المجتمع وتربيته بروح المثل العليا المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة؛ وخصوصاً بروح السلم والكرامة والتسامح والحرية والمساواة والإخاء، وإذ تضع في اعتبارها "أن الطفل، بسبب عدم نضجه البدني والعقلي، يحتاج إلى إجراءات وقاية ورعاية خاصة، بما في ذلك حماية قانونية مناسبة، قبل الولادة وبعدها، وإذ تسلم بأن ثمة، في جميع بلدان العالم، أطفالاً يعيشون في ظروف صعبة للغاية، ويأن هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى مراعاة خاصة".

تتكون هذه الاتفاقية من ٥٤ مادة ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء: مبادئ أساسية (المواد ٢، ٣، ٦، ١٢)، والحقوق الأخرى (المادة من ١-٤١) وتقييم ومتابعة الاتفاقية (المادة من ٤٢-٥٤). من المبادئ الأساسية للاتفاقية مبدأ عدم التمييز الذي ينصُّ على أن تحترم الدول الأطراف الحقوق الموضحة في هذه الاتفاقية، وتضمنها لكل طفل يخضع لولايتها دون أي نوع من أنواع التمييز، بغضِّ النظر عن عنصر الطفل أو والديه أو الوصيِّ القانوني عليه أو لونهم أو جنسهم أو لغتهم أو دينهم أو رأيهم السياسي أو غيره أو أصلهم القومي

أو الإثني أو الاجتماعي، أو ثروتهم، أو عجزهم، أو مولدهم، أو أي وضع آخر (المادة ٢). والمبدأ الثاني هو مبدأ المصلحة الفضلى الذي ينص على أنه في جميع الإجراءات التي تتعلق بالأطفال، سواء قامت بها مؤسسات الرعاية الاجتماعية العامة أو الخاصة، أو المحاكم أو السلطات الإدارية أو الهيئات التشريعية، يُولى الاعتبار الأول لمصالح الطفل الفضلى (المادة ٣). وأما المبدأ الثالث، فهو حق الحياة والنماء والذي ينص على أن تعترف الدول الأطراف بأن لكل طفل حقاً أصيلاً في الحياة، وأن تكفل الدول الأطراف إلى أقصى حدٍّ ممكن بقاء الطفل ونموه (المادة ٦). المبدأ الرابع هو حق التعبير، وينص على أن تكفل الدول الأطراف للطفل القادر على تكوين آرائه الخاصة، حق التعبير عن تلك الآراء بحريّة في جميع المسائل التي تمس الطفل، وتولى آراء الطفل الاعتبار الواجب وفقاً لسن الطفل ونضجه (المادة ١٢).

اهتمت الاتفاقية بحق الأطفال في الحماية من العنف، وذلك وفقاً لما جاء في المادة (١٩) والتي تنص على أن تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية والتعليمية الملائمة لحماية الطفل من جميع أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية والإهمال، أو المعاملة المنطوية على إهمال، وإساءة المعاملة أو الاستغلال، بما في ذلك الإساءة الجنسية، وهو في رعاية الوالد (الوالدين) أو الوصي القانوني (الأوصياء القانونيين) عليه، أو أي شخص آخر يتعهد الطفل برعايته (٢). ينبغي أن تشمل هذه التدابير الوقائية، حسب الاقتضاء، إجراءات فعالة لوضع برامج اجتماعية لتوفير الدعم اللازم للطفل ولأولئك الذين يتعهدون الطفل برعايتهم؛ وكذلك للأشكال الأخرى من الوقاية، ولتحديد حالات إساءة معاملة الطفل المذكورة حتى الآن والإبلاغ عنها والإحالة بشأنها والتحقيق فيها ومعالجتها ومتابعتها وكذلك لتدخل

القضاء حسب الاقتضاء. وكذلك بحق الطفل في الصحة كما تنص عليه المادة (٢٤)، تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في التمتع بأعلى مستوى صحي يمكن بلوغه ويحقه في مرافق علاج الأمراض وإعادة التأهيل الصحي. تنص الاتفاقية على أن تكفل الدول الأطراف بالألا يُعرَّض أي طفل للتعذيب أو لغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة (المادة ٣٧)، وأن تتخذ الدول الأطراف كل التدابير المناسبة لتشجيع التأهيل البدني والنفسي وإعادة الاندماج الاجتماعي للطفل الذي يقع ضحية أي شكل من أشكال الإهمال أو الاستغلال أو الإساءة، أو التعذيب أو أي شكل آخر من أشكال المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، أو المنازعات المسلحة. ويجري هذا التأهيل وإعادة الاندماج هذه في بيئة تعزز صحة الطفل، واحترامه لذاته، وكرامته (المادة ٣٩).

بالنسبة إلى حق الطفل في التعليم، تنص المادة (٢٨) من الاتفاقية على أن:

(١) تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في التعليم، وتحقيقاً للإعمال الكامل لهذا الحق تدريجياً وعلى أساس تكافؤ الفرص، تقوم بوجه خاص بما يلي: (أ) جعل التعليم الابتدائي إلزامياً ومتاحاً مجاناً للجميع، (ب) تشجيع تطوير شتى أشكال التعليم الثانوي، سواء العام أو المهني، وتوفيرها وإتاحتها لجميع الأطفال، واتخاذ التدابير المناسبة مثل إدخال مجانية التعليم وتقديم المساعدة المالية عند الحاجة إليها، (ج) جعل التعليم العالي، بشتى الوسائل المناسبة، متاحاً للجميع على أساس القدرات، (د) جعل المعلومات والمبادئ الإرشادية التربوية والمهنية متوافرة لجميع الأطفال وفي متناولهم، (هـ) اتخاذ تدابير لتشجيع الحضور المنتظم في المدارس والتقليل من معدلات ترك الدراسة.

(٢) أن تتخذ الدول الأطراف التدابير المناسبة كافةً لضمان إدارة النظام في المدارس، على نحو يمتشى مع كرامة الطفل الإنسانية ويتوافق مع هذه الاتفاقية.

بالنسبة إلى أهداف التعليم، توضح الاتفاقية بصورة قاطعة أن أهداف التعليم التي وافقت عليها جميع الدول الأطراف هي أهداف تشجع وتدعم وتحمي القيم الأساسية للاتفاقية، وهي مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالاعتراف بكرامة الطفل وحقوقه كإنسان. تنص المادة (٢٩) على:

(١) توافق الدول الأطراف على أن يكون تعليم الطفل موجهاً نحو: (أ) تنمية شخصية الطفل ومواهبه وقدراته العقلية والبدنية إلى أقصى إمكاناتها، (ب) تنمية احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية والمبادئ المكرسة في ميثاق الأمم المتحدة، (ج) تنمية احترام ذوي الطفل وهويته الثقافية ولغته وقيمه الخاصة، والقيم الوطنية للبلد الذي يعيش فيه الطفل والبلد الذي نشأ فيه في الأصل والحضارات المختلفة عن حضارته، (د) إعداد الطفل لحياة تستشعر المسؤولية في مجتمع حرّ، بروح من التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين، والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات الإثنية والوطنية والدينية والأشخاص الذين ينتمون إلى السكان الأصليين، (هـ) تنمية احترام البيئة الطبيعية.

تنص الاتفاقية في المادة (٣١) على أن:

(١) تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في الراحة ووقت الفراغ، ومزاولة الألعاب وأنشطة الاستجمام المناسبة لسنه والمشاركة بحرية في الحياة الثقافية وفي الفنون.

(٢) تحترم الدول الأطراف وتعزز حق الطفل في المشاركة الكاملة في الحياة

الثقافية والفنية، وتشجع على توفير فرص ملائمة ومتساوية للنشاط الثقافي والفني والاستجمام وأنشطة أوقات الفراغ.

تنص المادة (٣٢) على أن تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في الحماية من الاستغلال الاقتصادي وعمالة الأطفال، وتنص المادة (٣٤) على حماية أن تتعهد الدول الأطراف بحماية الطفل من جميع أشكال الاستغلال الجنسي والانتهاك الجنسي. ولهذه الأغراض تتخذ الدول الأطراف، بوجه خاص، جميع التدابير الملائمة الوطنية ذلك. وتنص المادة (٣٥) على أن تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير الملائمة الوطنية والثنائية والمتعددة الأطراف؛ لمنع اختطاف الأطفال أو بيعهم أو الاتجار بهم لأي غرض من الأغراض أو بأي شكل من الأشكال.

بالنسبة إلى الإطار الإقليمي، فلقد صادق السودان على الميثاق الأفريقي لحقوق ورفاهية الطفل في عام ٢٠٠٧، والذي جاء في معظم مواده مشابهاً لاتفاقية حقوق الطفل. لقد بدأ العمل بهذا الميثاق في ٢٩ نوفمبر ١٩٩٩ من قبل الاتحاد الأفريقي (منظمة الوحدة الأفريقية سابقاً). جاء في ديباجة هذا الميثاق أن وضع معظم الأطفال الأفارقة خطيراً بسبب العوامل الفريدة لظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والظروف التقليدية والإنمائية، والكوارث الطبيعية، والنزاعات المسلحة، والاستغلال، والجوع، وبسبب عدم النضج البدني والعقلي للطفل فإنه يحتاج إلى ضمانات ورعاية خاصة. بجانب المواد الأساسية لحقوق الطفل، ينص الميثاق على أن يكون لكل طفل الحق في التعليم وأن يوجّه تعليم الطفل، وتشجيع وتنمية شخصية الطفل ومواهبه وقدراته البدنية والعقلية (المادة ١١). كما تنص المادة (١٢) على حق الطفل في الراحة، ووقت الفراغ، والمشاركة في اللعب، والأنشطة الترفيهية

المناسبة لسِنِّ الطفل، والمشاركة بحُرِّيَّة في الحياة الثقافية والفنون. ينص الميثاق أيضاً على حماية الأطفال من أشكال العنف كافة، وأن تتخذ الدول الأطراف إجراءات تشريعية وإدارية واجتماعية وتربوية معينة لحماية الطفل من جميع أشكال التعذيب، أو المعاملة غير الإنسانية أو المهينة؛ وخاصة الإيذاء البدني أو العقلي، أو إساءة المعاملة، بما في ذلك الاعتداء الجنسي أثناء رعاية الطفل. تشمل الإجراءات الوقائية بموجب هذه المادة الإجراءات الفعّالة لإنشاء وحدات متابعة خاصة لتوفير الدعم اللازم للطفل، ولأولئك الذين يقومون على رعاية الطفل؛ وكذلك الأشكال الأخرى للوقاية من أجل التعرف والإبلاغ عن التحقيقات، ومعالجة، ومتابعة حالات إساءة معاملة وإهمال الطفل (المادة ١٦). ينص الميثاق على أن تتخذ الدول أطراف هذا الميثاق الإجراءات المناسبة:

(أ) لمنع اختطاف أو بيع أو الاتجار في الأطفال لأي غرض، أو في أي شكل من قبل أي شخص بمن في ذلك الآباء أو الأوصياء القانونيين للطفل، (ب) استخدام الأطفال في أشكال التسول كافة (المادة ٢٩).

بالنسبة إلى الالتزام الوطني، تنص الوثيقة الدستورية في المادة (٥٠) على أن تحمي الدولة حقوق الطفل كما وردت في الاتفاقيات الدولية والإقليمية التي صادق عليها السودان، وهذا إقرار واضح بالالتزامات الدولية والإقليمية فيما يلي حقوق الطفل. أضيف إلى ذلك أن قانون الطفل لسنة ٢٠١٠ ينص في (المادة ٥) (١) على أن يُسترشد في تطبيق أحكام هذا القانون، بالمبادئ والأحكام الواردة في دستور جمهورية السودان الانتقالي لسنة ٢٠٠٥ والاتفاقيات والبروتوكولات الدولية المُصادق عليها من قبل الدولة. ينص قانون الطفل على عدد من المبادئ الأساسية، منها (المادة ٥) (أ) أن تتكفل الدولة برعاية وحماية الأطفال وتعمل على تهيئة الظروف المناسبة

لتنشئتهم التنشئة الصحيحة من النواحي كافةً، في إطار الحرية والكرامة الإنسانية والقيم الروحية والاجتماعية وفي بيئة صحية، (ج) للطفل الحق في الحماية من جميع أشكال التمييز الظالم، (د) تكون لحماية الطفل ومصالحه الأولوية في جميع القرارات أو الإجراءات المتعلقة بالطفولة أو الأسرة أو البيئة أيًا كانت الجهة التي تصدرها أو تباشرها، (ي) يكفل للطفل الحق في التعبير عن آرائه ورغباته بكل حرية وإشراكه فعلياً في الإجراءات القضائية أو الإدارية أو الاجتماعية أو التربوية الخاصة وفقاً لسن الطفل ودرجة نضجه، (ك) يضمن هذا القانون حماية الطفل - نكراً أو أنثى - من جميع أنواع وأشكال العنف أو الضرر أو المعاملة غير الإنسانية أو الإساءة البدنية أو المعنوية أو الجنسية أو الإهمال أو الاستغلال.

تنص المادة (٢٨) على حق التعليم الأساسي الإلزامي بالمجان وأنه على الدولة السعي لتوفير التعليم المجاني في المدارس الثانوية الحكومية للأيتام والمعاقين والفقراء ومجهولي الأبوين. كما تنص أنه على الدولة أن تسعى لتضمين المناهج التعليمية ما يلي: (أ) التربية الدينية، (ب) التربية الوطنية، (ج) مبادئ حقوق الإنسان. تنص المادة (١/٢٩) على أنه لا يجوز توقيع أي من الجزاءات التالية على الأطفال بالمدارس:

(أ) العقوبات القاسية، (ب) التوبيخ بالألفاظ المهينة للكرامة، (ج) الحرمان من حضور الحصة ما لم يتسبب حضور الطالب في عرقلة سير الدراسة، (د) الطرد من المدرسة أثناء سير الدراسة. (٢) تحدد وزارة التربية والتعليم العام الجزاءات المناسبة لكل من يخالف أحكام البند (١) بموجب اللوائح التي تصدرها في هذا الشأن.

لقد أصدرت وزارة التربية لائحة تنظيم وضبط السلوك بالمؤسسات

التعليمية لسنة ٢٠٢٠، وذلك استناداً لأحكام المادة ٥ (٢) (أ) والمادة ٢٩ (٢) من قانون الطفل لسنة ٢٠١٠، وبمقتضى أحكام المادة ٣٠ من قانون تخطيط التعليم العام وتنظيمه لسنة ٢٠٠١. تنص المادة (٣) على أن نطاق تطبيق هذه اللائحة على التلاميذ والعاملين بالمؤسسات التعليمية في التعليم النظامي في المدارس الحكومية وغير الحكومية المعرفة في قانون تخطيط التعليم وتنظيمه لسنة ٢٠٠١، ويشمل التعليم ما قبل المدرسي وتعليم الأساس والثانوي وكذلك التعليم غير المرحلي، ويشمل خلاوي القرآن ومدارس التلمذة الصناعية ومراكز التغذية والفلاحة المدرسية وتعليم اليافين وذوي الإعاقة. جاء تعريف الألفاظ المهينة للكرامة بأنه يُقصد بها كل لفظ أو قول يؤدي إلى التقليل من شأن التلميذ أو يسبب له ألماً أو معاناة أو عزلاً اجتماعياً؛ وكذلك عرّفت اللائحة العقوبات القاسية بأنه يُقصد بها أي من أنواع العنف بالفعل أو اللفظ، الذي تُستخدم فيه القوة أو السلطة أو التهديد بذلك، أو يسبب الألم أو الأذى البسيط أو الأذى. تنص اللائحة في المادة (١٢) على تخصيص إحصائي اجتماعي ونفسي في المؤسسات التعليمية كافة. تنص المادة (٢٣) على جزاء لكل من يخالف ذلك وتصل من الإنذار إلى الفصل من الخدمة. تنص المادة (٤٧) من قانون الطفل على أنه يجب على الوزارة اتخاذ التدابير الملائمة لتحقيق التأهيل البدني والنفسي وإعادة الإدماج الاجتماعي للطفل الذي يكون ضحية أي شكل من أشكال الإهمال أو الاستغلال أو الإساءة أو التعذيب، أو أي شكل من أشكال المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة أو النزاعات المسلحة. ينص قانون تخطيط التعليم العام وتنظيمه لسنة ٢٠٠١ على أنه ينقسم التعليم العام إلى قسمين: (أ) تعليم نظامي الذي يتكون من مرحلتَي تعليم

الأساس والثانوي، (ب) تعليم غير مرحلي ويشمل الخلوي ومدارس الصناعات ومراكز التغذية والفلاحة المدرسية وتعليم النابغين والمعوقين وذلك حسب المادة (١٤) منه. تنص المادة (٢٧) من القانون نفسه على أنه لا يجوز تسجيل أي مؤسسة تربية تعمل في مجال التعليم العام، ما لم يتم الحصول على موافقة بذلك من سلطة التعليم المختصة وفقاً لأحكام اللوائح. وعليه، فإن ما ينطبق من معايير وأسس لمؤسسات التعليم العام يجب أن ينطبق على الخلوي التي ينص قانون التعليم العام على أنها أحد أقسام التعليم العام، ويجب أن تكون هنالك لائحة تنظم الكيفية التي يتم بموجبها التصديق من سلطة التعليم الاتحادية أو الولائية.

هنالك قانون تنظيم التعليم العام لسنة ٢٠٠٩ بولاية الخرطوم، والذي جاء فيه تعريف المدرسة (يُقصد بها المكان المهيأً فنياً وبيئياً للعملية التربوية والتعليمية)، وتنص المادة (٢/٥) على تهيئة البيئة المدرسية السليمة منهجاً وإدارةً ومباني؛ كما تنص المادة (١٤) أنه تكون لسلطة التعليم في الولاية الترخيص بإنشاء المدارس الخاصة. تنص المادة السادسة من لائحة التعليم الخاص لسنة ٢٠١٢ على أن التصديق للمدرسة الخاصة يكون على ثلاث مراحل للتصديق للمدرسة الخاصة (١- تصديق مبدئي، ٢- تصديق بالقبول وبدء الدراسة، ٣- تصديق نهائي)، على أن يصدر خطاب من الإدارة بالموافقة على بدء القبول والدراسة بناءً على تقرير الزيارة الميدانية لموقع المدرسة الخاصة. ينص المرسوم الولائي رقم ٩ لسنة ٢٠١١ الصادر من وزير التربية والتعليم بولاية الخرطوم، على أنه من اختصاصات وزارة التربية والتعليم (١٣) الإشراف على التعليم الديني بولاية الخرطوم ورعايته وتطويره، وإدماج طلاب الخلوي في منظومة التعليم العام (لا أثر لتطبيقه). أضف إلى ذلك أن

لائحة تنظيم البناء بولاية الخرطوم لسنة ٢٠٠٨ والصادرة من وزارة التخطيط العمراني، قد حددت الشروط والمواصفات الخاصة بمباني الطلاب والطالبات؛ وكذلك مواصفات مباني المدارس (تُحسب مساحة الفصل الدراسي بواقع متر واحد مربع لكل تلميذ ولا يقل ارتفاع الفصل عن ثلاثة أمتار وتوفير مرحاض لكل ٢٠ تلميذاً).

يُعرّف قانون الصحة المدرسية لسنة ٢٠١٠ بولاية الخرطوم (المادة ٤) التعليم قبل المدرسي والمدرسي، بأنه يُقصد به جميع المدارس بالولاية الأساس والثانوي بشقيه: الأكاديمي والفني ورياض التعليم قبل المدرسي والخلوي. كما عرّف التلاميذ بأنهم يُقصد بهم تلاميذ وتلميذات مدارس الأساس والثانوي بشقيه: الأكاديمي والفني والخلوي.

ينص هذا القانون في مادته السادسة على أن تلتزم وزارة الصحة بإجراء الكشف الطبي الدوري المجاني على التلاميذ. كما تنص المادة (٧) على أن تلتزم وزارة التربية والتعليم والمحلية بتطبيق مواصفات البيئة المدرسية الصادرة من وزارة الصحة، ودون الإخلال بعموم ذلك تلتزم بالآتي: ١- (أ) توفير المياه الصالحة للشرب (ب)، توفير المراحيض ودورات المياه على أن تُراعَى فيها الشروط الصحية الأساسية (ج)، التخلص السليم من الفضلات وفق معايير الوزارة، (د) مواصفات المباني من مساحة وإضاءة وتهوية مما يؤثر على صحة التلاميذ. ٢- يجوز للوزارة بعد إخطار وزارة التربية والتعليم في حالة إخلال إحدى المدارس بصحة البيئة بما يترتب عليه خطورة لصحة التلاميذ، التوجيه بالإغلاق المؤقت، كما تلزم الإدارة المدرسية بتوفير أوضاع التلاميذ. تنص المادة (٨) على أن تلتزم رياض التعليم قبل المدرسي بمتابعة نمو الأطفال وفق الدورية التي تحددها الإدارة والتبليغ عن حالات سوء التغذية.

تنص المادة (١٠) على أن تلتزم كل مدرسة بتخصيص معلم لأنشطة الرياضة والتربية البدنية، وعلى أن تخصص كل مدرسة مساحة مناسبة للأنشطة الرياضية. تنص المادة (١١) على أن تلتزم وزارة التربية والتعليم بتوفير باحث اجتماعي أو مرشد نفسي بالمدرسة؛ لتقديم خدمات الرعاية النفسية والفحص البدني والدوري للتلاميذ، وأن يتم تحويل الحالات المكتشفة إلى مراكز الصحة النفسية. تنص المادة (١٧) من القانون على أن يُعاقب كل من يخالف أحكام هذا القانون بالآتي: (أ) الغرامة التي لا تقل عن ألف جنيه ولا تزيد على خمسة آلاف جنيه، (ب)، الإغلاق (ج) العقوبتين معاً. وعليه، الدولة ملزمة بالإيفاء بحقوق الأطفال كافة دون أي تمييز. لقد قدمت اللجنة الدولية لحقوق الطفل ملاحظاتها حول تنفيذ حقوق الطفل في السودان وذكرت اللجنة، أنها تشعر بالقلق لأن السودان رغم إصداره لقانون الطفل لسنة ٢٠١٠ فإنه يضع إطار التنظيم والسياسات اللازم لتنفيذ هذا القانون. بجانب عدم وجود تشريعات فرعية شاملة، وعدم تمكن العديد من الجهات الحكومية من تنفيذ قانون الطفل، وطالبت بضرورة اتخاذ خطوات فعالة لرصد تنفيذ قانون الطفل (٢٠١٠)، بما في ذلك عن طريق إنشاء آلية رصد وطنية شاملة لعدة قطاعات. أكدت أيضاً أنها تشعر بالقلق لأن المجلس القومي لرعاية الطفولة، المنشأ بغرض تنسيق تنفيذ الاتفاقية، لم يتخذ أية تدابير فعالة للاضطلاع بدوره، ويعود السبب بصورة جزئية إلى عدم كفاية الموارد البشرية والمالية والدعم السياسي، وهذا بجانب عدم وجود خطة عمل شاملة قائمة على الحقوق لتنفيذ الاتفاقية بشكل تام وفعال. ذكرت اللجنة في ملاحظاتها أنه بالرغم من أن قانون الطفل يحظر العقوبة البدنية في المدارس، كما لوحظ اعتماد الخطة الوطنية لمكافحة العنف المُعنونَة "سودان صالح للأطفال". بيد أن

اللجنة تشعر بقلق بالغ من أن ممارسة جُلد الأطفال ينتشر على نطاق واسع، وتوصي السودان بأن يُتخذ جميع التدابير الضرورية لحظر جميع أشكال العنف ضد الأطفال؛ تعزيز الالتزامات والإجراءات الوطنية والمحلية؛ تعزيز قيم اللاعنف والتوعية به؛ كفالة المساءلة والقضاء على الإفلات من العقاب، وأن يتم وضع خطة عمل وطنية لإعمال حقوق الطفل وتنفيذ الاتفاقية باتباع نهج شامل إزاء حقوق الطفل، وأن تكفل حماية جميع الأطفال من التمييز على أي أساس كان (٣٣).

٢٣ - الملاحظات الختامية حول السودان، لجنة حقوق الطفل، أكتوبر ٢٠١٠.

الفصل الثالث

واقع الخلاوي

واقع الخلاوي

تفتقر الخلاوي إلى تبعية مؤسسية بكل ما تعنيه الكلمة مثل بقية مؤسسات التعليم والوزارات المختلفة وإداراتها، من سلطة التعيين والمعينة ومعرفة المؤهلات والتفتيش والمراقبة والمحاسبة ووضع المعايير والنظم والميزانيات حقيقة ذات مسئولية، من تصديق وتفتيش ورقابة وصلاحيات توقيع جزاءات للمخالفين أو هيكل إداري أو شروط ومواصفات شيخ الخوة والمؤهل الدراسي، أو إجراءات الالتحاق للأطفال وتحديد الاعمار والمواد الدراسية... إلخ. فهو قطاع مفتوح لكل من يريد أن يجرب منهجاً أو من يود أن يسترزق باسم الأطفال دون محاسبة أو مساءلة أو شروط تصديق أو طلب مؤهلات... إلخ. وعليه، كما جاء في تقرير المجلس القومي لرعاية الطفولة، فلا تتبع الخلاوي لأي جهة وهناك عدم وضوح في التبعية الإدارية والفنية ولا توجد إحصاءات دقيقة لعددها أو عدد طلابها لعدم وضوح تبعيتها^(٢٤). يمكن القول أن هنالك عدة جهات تهتم بأمر الخلاوي (مجرد اهتمام فقط لا تتبع لها)، مثل: (أ) وزارة التربية والتعليم من خلال إدارة التعليم القرآني، (ب) وزارة الإرشاد والأوقاف التي أوكلت الملف لمجلس الذكر والذاكرين وهي جهة معنية بالتنسيق والتواصل مع الطرق الصوفية، (ج) وزارة الرعاية والضمان الاجتماعي من خلال ديوان الزكاة والذي يقدم الدعم العيني والمادي.

٢٤- تقرير حول واقع الخلاوي، المجلس القومي لرعاية الطفولة ووزارة الرعاية الاجتماعية، فبراير

إذا نظرنا إلى قوانين هذه الجهات التي يدعى البعض أوتدعي أحياناً تبعية الخلاوي لها، لا نجد أثراً لمسئولية الخلاوي في قوانينها. ونجد قانون المجلس القومي للذكر والذاكرين لسنة ١٩٩٦، ينص على أهداف فضفاضة، وهي: (أ) تحقيق استراتيجية الرقي الأخلاقي الذكر والذاكرين وما يتصل بها من أهداف وغايات في الاستراتيجية القومية الشاملة، ورسم السياسات العامة والخطط والبرامج التي تؤدي إلى ذلك، (ب) تأمين وحدة الأمة السودانية حول مشروعها الحضاري، (ج) بعث التراث الإسلامي للعلماء والذاكرين والصوفية وشيوخ القرآن الكريم من أهل السودان، (د) بسط منهج التصوف النفسي وتطهير السريرة للارتقاء بالسلوك، (هـ) تهيئة دور العلم والذكر والذاكرين ورعايتها وتقديم الدعم المادي والأدبي؛ لتقوم بدورها في نهضة الأمة بالاستفادة من الطاقات الروحية والبدنية الموجودة بها، (و) السعي لإيجاد موارد ثابتة ليعود ريعها على الخلاوي والمساجد ومراكز الذكر والعلم، (ز) إقامة المؤتمرات والملتقيات العلمية والفكرية ذات الصلة بأغراض المجلس. كما ينص على أن الأمانة العامة تختص باقتراح السياسات العامة المتعلقة بأغراض المجلس، والتنسيق بين دور العلم ومراكز الذكر والجمعيات الخيرية الطوعية والدعوية العاملة في مجال الذكر والذاكرين، وحشد وإيجاد مبادرات أهل الذكر والذاكرين لقيادة العمل الاجتماعي والبعث الحضاري، والعمل على قيام مشروع إعلامي لاستغلال منابر التوعية الجماهيرية؛ لإبراز دور أهل الذكر والذاكرين في التغيير الاجتماعي والمشروع الحضاري للأمة وجمع المعلومات، وإقامة بنك لمعلومات التراث الإسلامي والعلماء والذاكرين ورجال التصوف وشيوخ القرآن الكريم من أهل السودان.

بالنسبة إلى إدارة التعليم الديني بوزارة التربية والتعليم، فلا تبعية

واضحة أو دور رقابي واضح. فلقد جاء في رؤيتها (نحو مجتمع يُحسن التعامل مع القرآن الكريم فهماً وتطبيقاً): وأما الرسالة فهي (منهجية التواصل الوجداني مع تعليم الدين)، ومن ضمن اختصاصاتها رعاية المؤسسات التعليمية المتخصصة في القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، والعمل على تطويرها والعمل على تكامل المنهج مع مناهج التعليم العام بحيث يغطي العلوم الأخرى للحياة، وإعداد جيل قرآني مزود بعلوم العصر وتقنياته وتأهيل وتدريب المعلمين بمؤسسات التعليم الديني وتطوير قدراتهم وتحسين أوضاعهم، والعمل على استقرار طلاب مؤسسات التعليم الديني دراسةً وسكناً وإعاشة، ورسم السياسات التعليمية والخطط والمعايير الخاصة بالتعليم الديني والمؤسسات ودعم وتطوير مناهج التعليم الديني. أما وزارة الرعاية والضمان الاجتماعي، فتكتفي بتوزيع دعمها للخلاوي ولديها ما تسميها بالنفقات لدعم الخلاوي وليس لديها صلة بمعايير وأسس هذه الخلاوي. وعليه، فالخلاوي قطاع بعيد عن حقوق الأطفال وحمايتهم، يقوم على أساس النهج الاحتياجي الذي يعتمد على الصدقات والاحسان ولا يقوم على الحقوق والمعايير المساءلة والمسئولية.

يُمارس العنف بصورة كبيرة داخل الخلاوي؛ مما يؤثر سلباً على شخصية الطفل وثقته بنفسه، ومقدرته على التحصيل والتعليم وغالباً ما يكون العنف سبباً رئيساً وراء هروب الطفل من المدرسة وترك الدراسة نهائياً.

لقد أدى انتشار العنف ضد الأطفال إلى ازدياد الاهتمام بخلق بيئة حامية للأطفال، توفر لهم حقهم في النمو وتحميهم من كل أنواع الإساءة والاستغلال والعنف والإهمال، وتوفر لهم الحق في التعافي البدني والنفسي وإعادة الإدماج في المجتمع.

لقد أثبتت الدراسات أن ممارسة العنف ضد الأطفال يخلق آثاراً مدمرة على حياة الطفل على المدى القصير والبعيد، والتي قد تتفاوت حدتها من شكلٍ إلى آخر من أشكال العنف التي تُمارس ضد الأطفال، حيث تتعدد أشكال العنف ضد الأطفال مثل العنف البدني، العنف النفسي، التمييز، الإهمال وسوء المعاملة، الإساءة الجنسية والعقاب البدني. والجدير بالذكر أنه يأخذ مَنحَى أكثر خطورةً حين يكون مصدر العنف من القائمين على تعليم الطفل ورعايته.

يُعرّف العنف ضد الأطفال بأنه الاستخدام المُتعمد للقوة أو الطاقة البدنية، سواء بالتهديد أو الاستعمال الفعلي لها، ضد الطفل، من قبل أي فرد أو جماعة، بحيث يؤدي إلى، أو يرجح أن يؤدي إلى، ضرر فعلي أو محتمل لصحة الطفل أو بقاءه في قيد الحياة أو نمائه أو كرامته^(٢٥). كما تُعرّف وزارة التربية والتعليم العنف بأنه أي فعل أو الامتناع عن فعل يعرض حياة الطفل وأمنه وسلامته وصحته الجسدية والجنسية والعقلية والنفسية إلى الخطر^(٢٦). الجدير بالذكر أنه لا يمكن تبرير أي عنف ضد الأطفال وأن جميع أنواع العنف ضد الأطفال يمكن منعها، وأن مفهوم الكرامة يقتضي الاعتراف الكامل بكل طفل واحترامه وحمايته باعتباره صاحب حقوق^(٢٧). كما ينص قانون الطفل على أنه يضمن هذا القانون حماية الطفل ذكراً أو أنثى من جميع أنواع وأشكال العنف أو الضرر أو المعاملة غير الإنسانية أو الإساءة البدنية أو المعنوية أو الجنسية أو الإهمال أو الاستغلال^(٢٨). أضف

٢٥- دراسة الأمم المتحدة حول العنف ضد الأطفال، ٢٠٠٦.

٢٦- دليل المعلم للتأديب الإيجابي، وزارة التربية والتعليم، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي واليونيسكو، بخت الرضا، ٢٠١٥.

٢٧- اللجنة الدولية لحقوق الطفل، التعليق العام رقم (١٣) (٢٠١١).

٢٨- قانون الطفل لسنة ٢٠١٠، المادة (٥/٢/ك).

إلى ذلك ما ينص عليه القانون الجنائي لسنة ١٩٩١ من أنه يُعد مرتكباً جريمة الأذى كُلُّ من يسبّب لإنسان أماً أو مرضاً، ويُعاقب بالسجن مدةً لا تتجاوز ستة أشهر أو بالغرامة أو بالعقوبتين معا (المادة ١٤٢) (١).

سوف نتناول واقع الخلاوي من خلال التقارير الحكومية، فقد ذكرت وزارة التربية والتعليم أن الخلاوي تنتهج أساليب عقاب قاسية، وأن العقاب البدني هو أساس التعامل مع الأطفال في الخلاوي والنظام الشائع فيه هو ما يُعرف بالفَلَقَة، وفيها يتم الربط بين القدمين ورفعهما والضرب عليهما بالعصا أو السوط. وقد يكون سبب هذا العقاب هو عدم أداء واجب الحفظ للوح اليومي أو إساءة السلوك. ولا شك أن هذا العقاب يترك آثاراً نفسية واجتماعية واضحة على الأطفال، مثل ربط حفظ القرآن بالعنف والإهانة وإذلال الكرامة الإنسانية وتربية الخنوع والانكسار في النفس^(٢٩).

جاء في تقرير المجلس القومي لرعاية الطفولة ووزارة الرعاية الاجتماعية، هنالك العديد من الإشكاليات التي تعاني منها الخلاوي في السودان، من أكبر هذه الإشكاليات^(٣٠):

- لا يوجد تشريع أو سياسة قومية منظمة للتعليم في الخلاوي؛ وبالتالي لا تتبع رسمياً لأي جهة حكومية.
- لا توجد إحصاءات واضحة حول عدد الخلاوي في السودان؛ وذلك لعدم تبعيتها لأي جهة حكومية.

٢٩- دليل المعلم للتأديب الإيجابي، وزارة التربية والتعليم، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي واليونيسكو، بخت الرضا، ٢٠١٥.

٣٠- تقرير حول واقع الخلاوي، المجلس القومي لرعاية الطفولة ووزارة الرعاية الاجتماعية، فبراير

- عدم وجود تشريعات، سياسات وخطط قومية للتعليم في الخلاوي.
- عدم وضوح التبعية الإدارية والفنية لشئون الخلاوي.
- عدم وجود منهج علمي موحد وموجه للتعليم في الخلاوي.
- عدم وجود معايير قياسية موحدة لإنشاء وتأسيس وإدارة وتشغيل الخلاوي.
- وجود الطلاب من أعمار متفاوتة في مكان دراسة وسكن واحد ومنهم الطفل واليافع والبالغ؛ مما قد يؤدي إلى عنف جسدي ونفسي وجنسي مُتَوَقَّع في مثل هذه البيئات.
- عدم اختيار وتأهيل معلمي/ مشايخ الخلاوي علمياً بصورة مؤسسية ومنظمة وفق معايير.
- الاعتماد الكامل على التمويل الطوعي والأهلي وآثاره السلبية المتوقعة.
- جاء أيضاً في هذا التقرير، أن بعض الطلاب يتركون الخلوة بسبب الجوع وعدم توافر الغذاء للأطفال الذي يُعدُّ جاذباً لبقاء الأطفال بالخلوة، وأن بعض الشيوخ توجهوا بالطلاب للزراعة لتوفير الغذاء وأن الطلاب هربوا بسبب الجوع أثناء عملية الزراعة، أيضاً من أسباب ترك الطلاب للخلاوي والهجرة إلى المدن للعمل (عامل ورنيش - بائع متجول... إلخ) عدم القدرة الاستيعابية لبعض الأطفال وبعده المسافة وعدم انتظام الشيخ، وبعضهم لرغبته في مواصلة التعليم المدرسي كلها أسباب مجتمعة لترك الطالب للخلوة، بالإضافة إلى مساعدة الأبناء للآباء في موسم الحصاد وعدم مقدرة بعض الأسر على دفع الرسوم الدراسية - إن وُجِدَت - قد تمنع من مواصلة الدراسة، إلى جانب انتشار بعض الأمراض الشائعة بين الدارسين بالخلوة كالملايا، وهي أكثر الأمراض شيوعاً بين طلاب الخلاوي في الصيف، والتهاب الصدر والطفح الجلدي والقوب وأمراض الحصبة والسُّعال الديكي.

قبول الأطفال كبار السن مع الصغار يؤدي إلى سلوكيات غير قويمية أو لا أخلاقية من بعضهم.

بالنسبة إلى مجلس الطفولة بولاية الخرطوم، فلقد شكّلت وزيرة التنمية الاجتماعية بولاية الخرطوم فريق عمل؛ للوقوف على المشكلة التي ظهرت في خلوة بشرق النيل، حيث أُصيب (١٥٥) طفلاً بإسهالات مائية وذلك في ١٢ يناير ٢٠١٧. كانت وزارة الصحة قامت بإقامة عيادة طارئة بالخلوة، حيث اتضح أن سبب المشكلة التلوث البيئي بالخلوة (مياه الشرب والبيئة العامة والطعام). جاء في التقرير أن عدد الدراسين بالخلوة (١٢٠٠) أعمارهم مختلفة ولا توجد أي معايير لقبولهم، حول الخلوة أسوار عالية وحراسة بالخارج، الحّمّامات غير صالحة للاستخدام وهي نفسها مصدر للأمراض، لا توجد أسرة أو مراتب ويفترش الأطفال مفارش على الأرض وينامون مع بعضهم البعض دون اعتبار للفئة العمرية. الكثير منهم متسخون وملابسهم رثة ومتسخة (يذكر التقرير أنه في طريق عودتنا صادفنا أحد الأطفال في عمر ١٠ سنوات تمكن من التسلل إلى التربة خفية للاستحمام). جاءت التوصيات بتشكيل لجنة طارئة من مجلس رعاية الطفولة بولاية الخرطوم ووزارة الصحة؛ لوضع المعالجات اللازمة وضرورة وضع ضوابط ومعايير وأسس لعمل الخلاوي، والعمل على إدخال الخلاوي في برامج الخدمة المدرسية (توفير باحث اجتماعي لكل خلوة)، وأن يكون دعم الخلاوي عبر لجنة يتم تكوينها وليس عبر شيوخها.

شاركت العديد من الجهات الحكومية في دراسة حول العنف داخل المؤسسات التعليمية بولاية الخرطوم ٢٠١٧، ومن هذه الجهات وزارة التربية والتعليم بولاية الخرطوم ووزارة الصحة بولاية الخرطوم ومجلس الطفولة بولاية

الخرطوم والمجلس القومي لرعاية الطفولة وشرطة حماية الأسرة والطفل واليونسيف. أظهرت هذه الدراسة أشكال وأنواع العنف المُمارَس ضد الأطفال في الخلوي كما عكست رؤية الأطفال، حيث يرى ٩٠٪ من الأطفال أن العقاب البدني هو أكثر أنواع العنف انتشاراً في الخلوي، وأنه يُعدُّ وسيلة من قبل شيوخ الخلوي لإلزام الطلاب لحفظ القرآن وهذا بجانب التوبيخ. يرى الأطفال أيضاً أن التنمُّر والضرب والإساءة والتهديد منتشرة بين طلاب الخلوي. أظهرت الدراسة من خلال النقاش مع طلاب الخلوي، أن الطلاب (في الخلوي) يتعرضون إلى عنف جنسي من قبل زملائهم وذكروا بعض النماذج. يرى بعض طلاب الخلوي أنهم يعانون الإهمال من قبل أولياء أمورهم حيث أنهم منفصلون عنهم بشكل كامل، حتى الذين يعودون في الإجازات إلى ذويهم (العم، الأخ) لا يجدون الاهتمام الكافي واللائم لتخفيف ألامهم. وذكروا أنهم يواجهون عنفاً جنسياً ولفظياً من المارة بالشارع. كما يعاني الطلاب نوعاً من الإهمال حيث يعانون من قلة الطعام وعدم اهتمام الشيوخ أو المسؤولين عن الخلوة باحتياجاتهم الأساسية (الأكل، النوم، النظافة العامة وتوفير مستلزمات النظافة الشخصية، العلاج في حالة المرض). حيث يلجأ بعضهم إلى العمل أثناء اليوم لتوفير المال لإضافة وجبة العشاء أو الفطور مع الوجبة التي توفرها لهم الخلوة؛ كذلك لتوفير الصابون لغسل ملابسهم. بالإضافة إلى الإهمال، استخدام العقاب البدني القاسي، الحرمان من الراحة، اللعب، والنوم، الاستغلال وإجبار الأطفال على التسوُّل، التقييد بالسلاسل الحديدية لمنع محاولات الأطفال من الهروب إلى الأسرة، اختلاط الأعمار المختلفة في السكن، التحرش الجنسي الذي يصل في الغالب إلى أسوأ أشكال جرائم الإيذاء الجنسي. ذكر عدد من طلاب الخلوي الآتي:

"العنف الجسدي يحصل بيناتنا عن طريق الضرب باليدين أو القدمين (شلاليت، كفوف) والضرب بالسوط ببيكون من الشيخ لما يعملوا غلط العقاب ببيكون ٥ جلدات بالسوط عنج في الظهر، لما مانحفظ تنذر أول مرة والعقاب بكون بالضرب بالبطح، يقوم بعض الزملاء بالتحريض لضرب الطالب الآخر ثم يقوم الشيخ بالضرب بضرب مبرح بخرطوش الموية الأسود لدرجة البكاء ونزول الدم، الشيخ أحياناً يضربنا كف، تُجلد خمسة جلدات عند أي غلطة وعشرة جلدات عند لبس الشورت لازم تلبس الجلابية لو اتشاكلت مع زول زميلك لو هو الغلطان أو انت الاتنين بيتعاقبوا، مشرف الداخلية الناس بتخاف منو لأنو هو دايمًا بيضرب". "الشيخ مرات بنبذونا العواليق، يا عوير، يا بليد، يا غبي، يا حمار، يا كلب".

"مرات بتسمع ألفاظ ما كويسة من زمانك، غبي، حمار، يا خيبان، سبّ الأم والأب". "حصل مرة في طلاب خطفوا بت من الحلة وقاموا اتحرشوا بيها لحدي ما فقدت وعيها وقام الطلاب ديل ختوها في سرير طالب ثاني وماتت وهوكلم الشيخ والشيخ طرد الطلاب". "في واحد كان معنا في الخلوة الشيخ طردوا لانوكان بتحرش بناس الخلوة". "لازم نشغل في السوق عشان نجيب للشيخ قروش الأسبوع عشان يسوي لنا عصيدة يوم الجمعة، بيدونا وجبة واحدة في اليوم بعد صلاة العصر وثاني العايز يفطر بيفطر في السوق بقروشوا".

"ناس الحلة بنبذونا جنا حرام، حرامية، إنتو ما نافعين، ما عندكم أدب". الأستاذ الباحث المعروف الطيب محمد الطيب وثق لخلوي السودان واستغرق كتابه سنوات عديدة، حيث سافر إلى معظم الخلوي المنتشرة في مختلف مناطق السودان، ووضح لنا أنماط وأنواع العقاب فيها (٣١):

٣١- الطيب محمد الطيب، المسيد، دار عزة للنشر و التوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٥.

1 - الفلقة:

هي الضرب على الرجلين حيث يرفع الحوار رجليه واحدةً بعد الأخرى فيضربه الشيخ حسب مخالفته.

2 - نواة التمر:

توضع نواة التمر بين أصابع يد الحوار ويضغطها الشيخ.

3 - أم سعد الله:

وصفتها عود طويل يبلغ متراً ونصف المتر أو مترين ويُربط عليه حبل متين، وتُربط رجلاً الحوار المراد عقابه بالحبل المربوط في العود، ويُلفُّ العود على الحبل فيشد الرجلين ويمسك العود طالبان شديداً ويرفعان العود فتكون الأرجل في وضع بارز، فيضرب الشيخ الحوار ضرباً شديداً، ثم يحلون وثاقه فيجثو على ركبتيه ويديه إلى أن يصل محله. لأن الأرجل تكون في حالة (خدر) وألم شديد.

4 - الوقوف على رجل واحدة:

يأمر الشيخ الحوار أن يقف على رجل واحدة ويقراً اللوح حتى يحفظه على هذه الحالة، وإذا غير الرجل بالأخرى كان عقابه مضاعفاً.

5 - القيد الفردي:

إذا ارتكب الحوار مخالفة توجب عليه القيد، يتم تقييده من رجليه بجنزير حديد خاص بالخلوة. وفي معظم المسائد الكبيرة حدّاد، يعمل لأهل المنطقة ويضرب القيود للخلوة بالمجان تقرباً إلى الله وإلى شيخ الخلوة. والقيد القوي الثقيل لا يستطيع الحوار كسره ولا الهرب منه.

6 - القيد على الشعبة:

الشعبة عمود خشبي يكون في الخلوة، حيث يأتون بالطالب ويُجلسونه

على الأرض عند الشعبة ويفردون رجله حولها ويضرب له القيد وقيد الشعبة صعب جداً.

7 - القيد الزوجي:

يربط الحوار مع آخر يكون مخالفاً له في كل شيء فتزداد مشاكلهما ومشاكستهما. وإذا أراد أن يشرب يجرُّ زميله، وإذا أراد الدخول في (الخلاء) صحبه زميله.

8 - التوبيخ والزجر لا حصر له ومن أقوال بعض المشايخ:

يا ود البقس

يا مطموس يا إبليس

يا حمار يا شيطان

يا ملعون يا جان

يا كلب يا ود الكلب

يا بلدي يا حمار يا ود الحمار.

وإذا كان الشيخ غضوباً، تجاوز توبيخه وشمل اللعن أب الحوار وأمه.

الجدير بالذكر أن وزارة التربية والتعليم استنكرت انتشار العقاب البدني وأجابت على الذين يقفون مع العقاب البدني للأطفال، حيث ذكرت أن هنالك أساطير يطلقها البعض وردت الوزارة عليهم بالآتي: (٣٢)

الأسطورة رقم (1): (حدث هذا معي ولم يسبب لي أذى):

حقيقة: على الرغم من أنهم شعروا بالخوف والغضب والارتياح من تلقيهم الضرب من والديهم ومعلميهم يستعين بعض الأشخاص بهذه الحجة، مؤكدين أنهم تعرضوا للعقاب البدني ولم يسبب لهم ذلك أذى

٣٢- دليل المعلم للتأديب الإيجابي، وزارة التربية والتعليم، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي واليونيسكو، بخت الرضا، ٢٠١٥.

وذلك عندما كانوا أطفالاً. غير أنهم يتجاهلون الأذى الذي أصابهم وهو أن العقاب الذي تعرضوا له في طفولتهم، قد ترك أثره البالغ على نفوسهم دون أن يحسوا.

الأسطورة رقم (٢): (لا شيء آخر ينفع) أو (هم يستحقون العقاب):
حقيقة يتطلب التأديب الإيجابي بناء علاقة تتميز بالاحترام المتبادل والثقة بين التلميذ والمعلم، أما إلحاق الأذى بالطفل فهو مهربٌ بائس. لأنه اعتراف بفشلنا في مساعدة الطفل على التعلم واستيعاب مفهوم السلوك الحسن. واستمرارنا في العقاب البدني والعاطفي لفترة طويلة يُضعف تأثير الوسائل الإيجابية الأخرى، ويجعلنا نشعر أن لا شيء ينفع غير العقاب. ولنا أن نتساءل هل نستطيع أن نطبق هذه القاعدة مع الكبار. زماننا في العمل وجيراننا وأهل بيتنا (عندما نشعر باستحقاقهم العقاب)، أم نطبقها على الأطفال فقط.

الأسطورة رقم (3): (العقاب الجسدي يعطي أفضل نتيجة. الطرق الأخرى لا تنفع):

حقيقة: إن إقناع تلاميذنا بالتصرف الحسن من خلال إخافتهم من العقاب هو أمر يختلف عن التأديب. فالعقاب البدني لا ينفع إلا إذا نظرنا إليه بطريقة سطحية وعلى المدى القريب. وهويلم الأطفال القيام بما نطلبه منهم عندما نكون موجودين فحسب، في الواقع، يعلمهم العقاب البدني أن يكونوا جبناءً وأن يكذبوا بشأن سوء التصرف ليتفادوا العقاب. ويمجرد توليد شعور انعدام الثقة والأمان لدى الطفل، تنهدم العلاقة بين المعلم والطفل.

الأسطورة رقم (4): (العقاب الجسدي يعلم الطاعة):

حقيقة: كانت سلطة المعلم في الماضي هي السلطة الطاغية التي لا يجوز للطفل التشكيك فيها أو الخروج عليها. أما الآن فقد تطورت استراتيجيات التعليم والتعلم وأصبحت التربية تميل إلى جعل الطفل محور العملية التربوية التعليمية لا المعلم كما كان في الماضي، وعليه لا بد من تشجيع الطفل على الاستكشاف والتفكير والحوار وإبداء الرأي بشجاعة وطرح الأسئلة، والعقاب البدني يعيق عن كل ذلك.

الأسطورة رقم (5): (لا أقوم بذلك إلا كملاد أخير، لم يكن أمامي خيار آخر):

حقيقة: يحاول هذا العذر أن يقنعنا ويعلم تلاميذنا أن اللجوء إلى العنف مُبرَّر عندما يكون الملائد الأخير. وهذا خطأ تربوي فالعنف ليس مُبرَّرًا تحت أي ظرف من الظروف.

الأسطورة رقم (6): (إنها الطريقة الوحيدة لأتحكم بالتلاميذ في صفِّي فعددهم كبير):

حقيقة: إن هذا العذر شائع بين المعلمين الذين يجدون أنفسهم أمام صفوف كبيرة. وهنا ليس الأمر خطأ التلاميذ إن أوجدتهم الظروف في صف مزدحم ليتعرضوا للعنف إلى جانب مشكلات الازدحام الأخرى. وهنا لا بد للمعلم أن يطور تقنياته في إدارة الصف. وأن يعطي وقتًا أكبر للتعرف إلى تلاميذه وبناء علاقة إيجابية معهم؛ فاستخدام العنف مع الصف المزدحم من شأنه أن يُعقِّد أمر إدارته أكثر من أن يحلّه.

الأسطورة رقم (7): (العقاب الجسدي جزء من ثقافتنا):

حقيقة: يتم الدفاع عن العقاب الجسدي في بعض الأحيان على أنه جزء من ترعرع المرء في مجتمعه وولائه لثقافة المجتمع. وثقافة المجتمعات

بشكل عام هي أمر متغير باعتبار سُنَّة التطور. فالقيَم الاجتماعية تتجدد باستمرار وما كان مقبولاً في فترات سابقة جعله تطور العلم والمدنية أمراً غير مقبول، فهناك دوماً تقاليد تندثر لتحلَّ محلها تقاليد أخرى أكثر حكمة وضرورة منها. فإن أنظمة العبودية والسُّخرة ظاهرة اجتماعية سادت يوماً ما. وأين عادات الشلوخ والخفاض الفرعوني والبطان مثلاً من قيَم مجتمعنا الحديث؟!

كتب الأستاذ والخبير التربوي المعروف محمد أحمد حميدة وزير التربية الأسبق لولاية الخرطوم حول ذلك^(٣٣): (الحمد لله ذي الطُّول والآلاء وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء وعلى آله وصحبه الأتقياء. أما بعد، فشرف المطلوب بشرف نتأججه وعظم خطره بكثرة منافعه، وبحسب منافعه تجب العناية به وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمرته. وأعظم الأمور خطراً وقدرًا وأعمها نفعاً ورجداً ما استقام به القائمون بتربية النشء تصح العملية التربوية والتعليمية وتصلح ويصالحها يتم ما ينشده المجتمع من رُقي وتطور التعليم وتحقيق أهدافه. عند إصدار القرار رقم (١٠) لسنة ٢٠١٠ القاضي بمنع عقوبة الجلد، كانت الغاية الأساسية منه هو أن نربي النشء على قيم الإسلام ومبادئه بالسماحة والمعاملة الحسنة والكلمة الطيبة، ونقتفي الأثر لقول سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - (علموا أبناءكم لزمانٍ غير زمانكم).

كشف برنامج المجلس القومي لرعاية الطفولة لترحيل أطفال الخلاوي إلى ذويهم خلال جائحة الكورونا، والذي أتى بناءً على الإجراءات الاحترازية

٣٣ - ناهد محمد الحسن، دليل البدائل التربوية للعقاب البدني، معهد حقوق الطفل ووزارة التربية والتعليم ومنظمة الطفولة العالمية، ٢٠١١.

للوّاية من جائحة كورونا التي اتخذتها الحكومة؛ وذلك احتواءً لانتشار فيروس كورونا بين الأطفال في الخلاوي، كشف هذا البرنامج عن أمور غريبة؛ وخاصة في خلاوي ولاية الخرطوم، أن الأطفال الذين تم تسفيرهم إلى الولايات، لديهم أسر مستقرة في الولايات وتم جلبهم بصورة منظمة لخالوي في ولاية الخرطوم والتي تعمل في بيئة سيئة، وأن هناك قرى تم جلب عدد كبير من أطفالها، وهم في أعمار صغيرة. على سبيل المثال: هناك قرية في ولاية النيل الأزرق، تم جلب عدد (٤٢) طفلاً منها لخلوة في ولاية الخرطوم وأسرههم مستقرة في تلك القرية، وقرية أخرى (١٥) طفلاً منها وقرية بولاية سنار تم جلب (٢٥) طفلاً منها، وهكذا قرى محددة في شمال كردفان بالقرب من مدينة الأبيض تم جلب (٢٧) طفلاً منها. أما من ولايات دارفور، فهناك أعداد كبيرة تم جلبها من مناطق محددة إلى ولاية الخرطوم، يا تُرى ما الأسباب التي تستدعي نقل طفل صغير من أسرته إلى ولاية الخرطوم في خلوة كلها انتهاكات وتفتقر لأبسط مقومات الحياة!! الأمر يحتاج إلى دراسة متعمقة لمعرفة الأسباب. كما هو معروف أن زيادة الأطفال في الخلاوي يجعلها من الخلاوي الكبيرة، فديوان الزكاة يتعامل مع الخلاوي بعدد الأطفال ولا تعنيه بيئتها أو غير ذلك من أي معايير، فيتم تصنيف الخلاوي الكبيرة بأنها التي بها أكثر من ثلاثمائة طالب^(٣٤) (تحصل على تمويل ضخّم) والصغيرة أقل من ذلك، ولقد تضاعف الدعم الذي يقدمه ديوان الزكاة أربع مرات ونصف المرة ما بين ٢٠١٢ (تسعة مليارات) إلى العام ٢٠١٦ (تسعة وثلاثين ملياراً)؛ لعل هذا ما يجعل الشيوخ يتهافون ليزيد

٣٤- تقرير واقع الخلاوي، المجلس القومي لرعاية الطفولة بالتعاون مع ديوان الزكاة، فبراير،

عدد الأطفال في خلاويهم واستقطابهم حتى تُصنف كخلوة كبيرة، وهذا بالإضافة إلى مكانة الشيخ في الدولة ووسط السياسيين والخيريين، فكلما زاد عدد طلابه، ارتفعت مكانته ونفوذه والله أعلم.

الجدير بالذكر، أنه نظراً لانتشار جائحة كورونا، تم إعلان حالة الطوارئ الصحية في البلاد وتماشياً مع القرار القاضي بتعطيل الدراسة في جميع مؤسسات التعليم؛ ونظراً للأعداد الكبيرة للأطفال في الخلاوي وخطورة وضعهم في ظل الظروف الصحية الصعبة، فقد تم إنشاء آلية على المستوى الاتحادي والولائي والمحلي؛ لمراقبة ورصد تنفيذ قرار إغلاق الخلاوي أسوة بمؤسسات التعليم الأخرى التي تم إغلاقها حماية لهم من جائحة الكورونا؛ ولمساعدة الخلاوي التي تواجه مشكلة ترحيل ودمج منسوبيها من الأطفال مع أسرهم في مناطقهم الأصلية المعنية بصورة آمنة. عمل المجلس القومي لرعاية الطفولة على إشراك العديد من الجهات لدعم هذا البرنامج، منها ديوان الزكاة ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) ومنظمة الطفولة العالمية والوكالة الإيطالية للتنمية، وهذا بالإضافة إلى مجالس الطفولة بالولايات والعديد من منظمات المجتمع المدني، وبشكل وثيق مع الشركاء الحكوميين الآخرين. تم تكوين فرق عمل على المستوى القومي والولائي ومستوى المحليات والوحدات الإدارية. يتضمن الفريق على المستوى القومي، ممثلين للتنمية الاجتماعية والتعليم والصحة والشؤون الدينية والتنمية الاجتماعية ووزارة الداخلية واليونيسيف والمجلس القومي للطفولة ومنظمة رعاية الطفولة العالمية والوكالة الإيطالية للتنمية وممثل للجنة العليا للطوارئ وممثل لمنظمات المجتمع المدني وممثل للطرق الصوفية. التزم ديوان الزكاة بأن تقوم فروعها في الولايات بدعم ترحيل

الأطفال، والتنسيق مع مجلس الطفولة في الولاية المعنية للعمل على وصول الأطفال إلى مناطقهم. قام الباحثون بالمسح الميداني وتحديد الخلاوي وجمع بيانات حول الأطفال وأسرهـم ومناطقهم، وهذا بجانب توعيتهم للأطفال حول مخاطر الوباء؛ وتم عمل موجهاـت لعمل الباحثين للالتزام بها وهي حول الالتزام التام بجميع المبادئ الخاصة بحقوق الأطفال، والعمل على تأمين حماية وسلامة الأطفال طول الوقت وعدم تعريضهم لأي نوع من أنواع الإساءة أو العنف أو الاستغلال، وينبغي عدم تعريض أي طفل للمعاناة أو الخطر وضمان الحصول على الموافقة المعلومة من الطفل عند الحصول على المعلومات، وعدم الضغط عليه لإعطاء معلومات، والإبلاغ الفوري للمشرف حول حالات الاعتداء على الأطفال أو التي تكون فيها صحة الطفل وسلامته معرضة للخطر وإشراك الطفل في عملية اتخاذ القرار، وينبغي أن يكون مستوى اتخاذ القرار عند الأطفال مناسباً لمستوى نضجه وعمره والتعامل مع الأطفال بأقصى درجات الاحترام وعدم التمييز، وينبغي تقديم نفس مستوى الخدمة من الرعاية لكل الأطفال؛ مراعاة حقوق الأطفال ذوي الإعاقة والترتيبات التيسيرية وحقوقهم كافة، والتأكد من أن الأطفال مربيون دائماً للباحث بجانب عد الأطفال بشكل دوري. لقد تم وضع خطة تقوم على أن يكون داخل كل باص عدد (٤٠) طفلاً وذلك برفقة باحث وأحد الشيوخ، وذلك ما تم تطبيقه فعلياً من أجل حماية الأطفال. قبل سفر هؤلاء الأطفال، تم إرسال قوائم الأطفال المسافرين وتفاصيلهم إلى أمناء مجالس الطفولة في الولايات المعنية، والذين أكدوا استعدادهم لاستقبال الأطفال وترحيلهم وكل ما يتعلق بهم. تم تعقيم البصات وتوعية الأطفال وتوزيع كمادات ومُعقّمات للأطفال والشيوخ والباحثين المرافقين. والجدير بالذكر أن غالبية الرحلات

كانت إلى ولايات دارفور حيث أكبر نسبة أطفال، ثم ولاية النيل الأزرق وولاية سنار وشمال وجنوب كردفان. نجح البرنامج في جمع شمل عدد ١٠,٩٢٤ طفلاً بعائلاتهم.

الفصل الرابع

أطفال الخلاوي والإعلام السوداني

أطفال الخلاوي والإعلام السوداني

تناول الإعلام السوداني قضايا الخلاوي بصورة كبيرة وعكس الانتهاكات إلى تحدّث فيها. سوف نتناول في هذا الفصل بعض ما تناوله الإعلام وخاصة كُتّاب الأعمدة حول الخلاوي.

تناول الأستاذ الطاهر ساتي انتهاكات الخلاوي لأكثر من مرة على أمل تغيير واقع هؤلاء الأطفال؛ فكتب: تعرض طفلان للتعذيب ضرباً وتجويعاً بإحدى خلاوي منطقة الفتح أيضاً.. تعذبا على أيدي شيوخ الخلوة لحد الجرح والكسر، وتم إسعافهما بحوادث مستشفى أم درمان، بعد فتح بلاغ جنائي.. وليست بالشرطة وحدها تكافح الأنظمة الحوادث والجرائم مثل هذه المناطق، بل بالتنمية البشرية التي تتكىء على قواعد (التخطيط الجيد والتنفيذ الأجود). مطلوب دراسات يا والي الخرطوم، وكل ولاية ولايات السودان، عن الأحياء المعزولة وما أكثرها!.. كيف حال مساكن الناس، وكيف يجب أن تكون؟.. وكيف حالتهم الصحية، وكيف يجب أن تكون؟.. وكيف وضعهم الاقتصادي، وكيف يمكن تحسينه؟ وكم نسبة تسرّب تلاميذهم من مدارس الأساس (إن وُجدت)، وكيف يجب تقزيم النسبة بحيث لا يرث الأبناء شقاء الآباء والأمهات؟ وبقليل جهد تبذله في الأحياء الفقيرة، وبقليل مال

تنفقه في تنمية سكانها وتحسين أحوالهم، تقي الأنظمة الراشدة المجتمعات من المخاطر. أسعفت الشرطة الطفلين في حوادث أم درمان، وهرب شيوخ الخلوة، وتم فتح البلاغ في الشيوخ الهاريين.. ولا جديد في الحدث.. أي من جهل المجتمع، لجُد الأطفال والصبيان أنصار ومريدون، وهم الذين يؤمنون بقول الشاعر: (لا تحزن على الصبيان إن ضُربوا فالضرب يفنى ويبقى العلم والأدب/ الضرب ينفعهم والعلم يرفعهم، ولولا المخافة ما قرءوا وما كتبوا).. ويمثل هذا الجهل، اتخذوا الأطفال والصبيان نياقًا وحميرًا لحدّ استخدام السياط والخرابيش في الترويض والتعليم.. !!

ومؤسف للغاية بأن نقدم أطفالنا لشيوخ الخلاوي مرفقًا بنصيحة: (ليك اللحم ولينا العضم)؛ أي مرقّ جلده بسياطك وخرابيشك وأعده لنا عظمًا فقط لا غير، وهكذا ما يحدث بالأحياء والمناطق المعزولة.. وما تشهدها الخلاوي من انتهاك لحقوق الأطفال وتعذيب الصبيان - يبلغ مداه ربطهم بالسلاسل والحبال على أوتاد الغرف المهجورة أو تحت لظى الشمس، أو جلدتهم وتعذيبهم - يجب أن تنير انتباه الجميع. كثيرة هي انتهاكات الخلاوي المخفية عن (عيون الإعلام)، ولا يعلم القانون ما يحدث فيها من تعذيب وتحرش وَاغتصاب للأطفال .. نعم، لقد ارتفع حد العقاب إلى (الإعدام والمؤبد)، ومع ذلك لم - تختفِ جرائم التحرش والاعتصاب والتعذيب من الخلاوي، ولن تختفي ما لم يتم إغلاق هذه الخلاوي المعزولة. ومن الأفضل لأطفالنا أن يتعلموا أمور دينهم وديانهم بمؤسسات تعليمية خاضعة للسلطات الرقابية، وليس بالأوكار المعزولة عن الرقابتين: الرسمية والأسرية. كما كتب الأستاذ الطاهر ساتي أيضًا عن فاجعة أخرى بإحدى المناطق المعزولة.. بعد أن تم تعذيبهم بما يكفي شرح شخصيتهم، تم تحرير

بعض الأطفال من قبضة شيخ خلوة بمنطقة إيد الحد بالريف الجنوبي بأمدرمان.. (١٤ طفلاً)، وجدتهم الشرطة والنيابة - عند مدهامة الخلوة - يُعذَّبون في الأغلال والسلاسل.. منطقة إيد الحد، كما منطقة الفتح التي مارست إحدى خلاويها مثل هذا الانتهاك، من المناطق المعزولة. وكثيراً ما كتبتُ عن مخاطر الخلاوي بالمناطق المعزولة، ومع ذلك لا تبالي السلطات المسؤولة، ولا تُصدر قراراً في أمر هذه الأوكار المهجورة والمُسَمَّاة بالخلاوي.. وكثيراً هي المناطق المعزولة في بلادنا.. والعزل ليس بالجدار ولا بالأسلاك، ولكن بالتهميش وعدم التخطيط - جغرافياً وتنموياً - ثم بتجفيفها من الخدمات، مع غياب الرقابة^(٣٥).

تناولت الأستاذة سهير عبدالرحيم انتهاكات الخلاوي في العديد من المقالات. لقد أجريت تحقيقاً صحفياً لصالح صحيفة (الرأي العام) في عام ٢٠٠٩ تحت عنوان (اغتصاب حمادة)، التحقيق كان يحكي عن تعرُّض الطفل حمادة لاغتصاب من قبل شيخ الخلوة ومدرب السباحة في واحدٍ من أكبر الأندية بالخرطوم. شيخ الخلوة كان شاباً يدرس في السنة الثالثة بكلية الشريعة بإحدى الجامعات، ويقصر جلبابه ويطيّل لحيته ولا يصفح النساء ولا يستمع للموسيقا و.. ويغتصب الأطفال. الطفل حمادة كان ينتمي إلى أسرة من الطبقة المستنيرة النخبوية، فأخضعته والدته لعلاج نفسي استمر لفترة طويلة لإزالة آثار الاغتصاب النفسية والبدنية. عقب ذلك التحقيق وعقب عدة حوادث مشابهة، كان القاسم المشترك واللافت للنظر في تلك الحوادث شيخ الخلوة في كل حادثة..! وقد كنت أتساءل دوماً لماذا ترتفع حوادث الاغتصاب والتحرش وسط أطفال الخلاوي ومن قبل بعض الشيوخ!..

٣٥- الطاهر ساتي، بلاوي الخلاوي، صحيفة الصيحة، ٩ فبراير ٢٠٢٠.

بتحليل بسيط استدركت أن ميزة الحصانة التي تمنحها الأسر لأولئك الشيوخ والثقة التامة بحكم الفهم المعتاد، أن شيخ الخلوة رجل دين يحفظ القرآن وينبغي أن يكون منهجه عبادةً وسلوكًا؛ كل ذلك يجعل الأسر تَأْمَن على أطفالها عند أولئك الشيوخ، وهي لا تدري أن الذئب يأكل من الغنم القاصية؛ ذلك أن بعض هؤلاء الشيوخ يستغلون فرصة المبيت والخلوة بأولئك الأطفال، فيمارسون أمراضهم المستعصية، يساعدهم في ذلك خوف الأطفال منهم، وما يطبعونه عليهم من وجوب السمع والطاعة وهذا طبعًا غير العامل الأساسي وهو غياب هؤلاء الأطفال عن أسرهم بالشهور والسنوات؛ الأمر الذي يجعلهم تحت رحمة هذه النوعية من الشيوخ. قبل يومين انتشر (فيديو) لمجموعة كبيرة من أطفال الخلاوي تعرضوا للتعذيب من قبل شيخ الخلوة.. التعذيب تطور من الضرب بسيطا العنق والجزائر إلى مسح عيونهم وجروحهم بالشطة! ما ينبغي قوله ما لم تُهَيِّأ البيئة الآمنة للأطفال الخلاوي من رعاية طبية وإشراف من جهات رسمية ومتابعة دورية وتأهيل لتلك الخلاوي بكاميرات مراقبة وتفريق في المضاجع وفصل لسكن شيخ الخلوة عن الأطفال ومتابعة من قبل الأسر، فلا داعي لتلك الخلاوي التي تُرتكب فيها الانتهاكات. الإسلام نفسه لم يأمرنا بأن نلقي بأبنائنا إلى التهلكة، وأن نعرضهم لأسوأ أنواع الانتهاكات الجنسية والعقاب البدني والنفسي. الآن وليس غداً أخضعوا أطفال الخلاوي لكشفٍ خاص وانتظروا النتيجة، وليت الجهات المعنية تمتلك الشجاعة للقيام بمثل هذا الإجراء وإعلان نتائجه على الملأ^(٣٦).

كتبت الأستاذة هاجر سليمان عن تفاصيل صادمة في ملف (١٤) طفلًا

٣٦ - سهير عبدالرحيم، ماذا يجري في الخلاوي، خلف الأسوار، أكتوبر ٢٠١٩.

تعرضوا للتعذيب بخلوة، حيث ذكرت أن صحيفة (الانتباهة) توصلت إلى معلومات جديدة حول الأطفال ضحايا خلوي أم درمان، الذين تم تعذيبهم وتقييدهم بالسلاسل والأغلال والجنازير وضربهم بإحدى الخلوي بقرية إيد الحد بالريف الجنوبي بمحلية أم درمان. وأشارت مصادر إلى تعرض ثلاثة من أولئك الأطفال للتحرش من قبل شيخ الخلوة قيد لهم بلاغ آخر يتعلق بواقعة التحرش، وسلم الأطفال إلى ذويهم بولايات السودان عقب اتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة، وفي انتظار تكملة ملف القضية وإحالة إلى المحكمة لبدء محاكمة الشيخ المتهم ومتهميين آخرين. وكانت الشرطة قد نفذت مدهمة للخلوة وسط حضور مكثف لأهالي المنطقة الذين تجمهروا بأعداد غفيرة، حينما داهمت الشرطة الخلوي وألقت القبض على الشيوخ المتهمين اللذين يديران الخلوي، وحررت الشرطة (١٤) طفلاً كانوا مقيدين بالأصفاد والجنازير الثقيلة تم تعريضهم للضرب والتعذيب ويعانون سوء التغذية.

بدأت الحكاية حينما قرر طفلان الهروب من ذلك المصير المجهول وقاما ليلاً بالهروب، رغم أنهما كانا مقيدين بالأرجل بسلاسل وأغلال ثقيلة يصعب تحملها حاولا الركض مبتعدين عن الخلوة، ولكن كان نجل شيخ الخلوة لهما بالمرصاد فتبعهما وطاردهما وتمكن من إيقافهما، لكنهما قاما بتسييد طعنة لنجل الشيخ بسكين حملاهما معهما ليستغلاها في الدفاع عن نفسيهما وسقط نجل الشيخ أرضاً، وعندها تابع الحادث بعض سكان المنطقة قاموا بتوقيف الطفلين المقيدين وسألوهما عن سبب إصابتهما لذلك الشاب فأجابا بأنهما أسيران بتلك القرية؛ ومن ثم تم الاتصال بالشرطة وهبَّت السلطات إلى الموقع لمدهمته، وقبلها أُسعف نجل الشيخ المصاب

للمستشفى وما زال يتلقى العلاج بها. وعندما سمع شيخ الخلوة أن طفلين هربا والأغلال في أرجلها وحينما تعقبهما نجله سدا له طعنة بالسكين وأن الشرطة قادمة لا محالة، قرر الشيخ أن يفك وثاق المربوطين وبدأ في فك أغلال نحو (٨) من الأطفال، وقبل أن يكمل عمله داهمتهم الشرطة وضبطته وعثرت على الأطفال وحررت الآخرين، وقُيد في مواجهته بلاغات بقسم وحدة حماية الأسرة والطفل، وسيُقدم للمحاكمة في وقت قريب^(٣٧).

كتبت الأستاذة أسماء جمعة عن مأساة الخلاوي وذكرت أننا لا نكذب ولا نتحامل على شيوخها عندما نقول، إن الخلاوي لا تصلح لأن تكون مؤسسة لتعليم القرآن الكريم، فقد أثبتت فعلاً أنها غير صالحة.. فكم من مرّة أجرت الصحف تحقيقات وأثبتت أنّ الطلاب في الخلاوي يُعانون سوءَ البيئة والجوع والمرض وحرّ الصيف وبرد الشتاء والاستغلال.. وكم من مرة شهد المواطنون على حوادث غريبة تقع في الخلاوي أو تعرّض الأطفال للانتهاك وصورها ورُفعت في مواقع التواصل.. ورغم هذا لم يخرج شيخ من الشيوخ يعتذر أو يبرّر أو يدافع.. كلهم سكتوا لأنهم ليس لديهم ما يقولونه، وهو اعتراف بما يحدث في الخلاوي. بالأمس نقلت الانتباهة خبر يقول: شيخ تلميذين يدرسان في خلوة يديرها بالقضارف ويُمارس فيها ممارسات سلبية وسط الأطفال، فيما أُلقت شرطة حماية الأسرة والطفل بالولاية القبض عليه، وكشفت مصادر عن توقيفه على ذمة جرائم اغتصاب وتحرش ارتكبها في حق تلاميذ خلوته، وأقرّ المتهم في ذات الأثناء باغتصاب تلميذين تتراوح أعمارهما بين (٧ - ٩) سنوات، بينما دُوّن ضده بلاغ تحت المادة (٤٥/ب) من قانون الطفل، وبحسب - الانتباهة -، تم أخذ أقوال

٣٧ - هاجر سليمان، صحيفة الانتباهة، ٢٨ فبراير ٢٠٢٠.

الطفلين في يومية البلاغ الذي قُيِّد بالرقم (٣٩)، وما زالت الشرطة توالي تحريات للوصول إلى المزيد من الضحايا بالقضارف، ركّزوا في هذه العبارة: مزيد من الضحايا.. !.

وسائل إعلام أخرى نقلت الخبر ذاته بمزيد من التفاصيل، وقالت إن أحد الطلاب الضحايا كان قد أبلغ السلطات المختصة عن طريق أحد أقاربه بتعرُّضه للاغتصاب من قبل شيخه بالخلوة ولمدة سبع سنوات، وأشارت المصادر إلى أنَّ الطلاب الذين تعرَّضوا للحادثة لم يُبلِّغوا ذويهم عن ممارسات شيخهم طوال تلك المدة لتخوُّفهم منه، بينما أكَّدت مصادر أخرى أنَّ عدد ضحايا الاغتصاب من قبل الشيخ بلغ ١٣ طالباً، وأنَّ الحالات المُبلِّغ عنها لدى الشرطة والأسرة والطفل ٣ حالات أخضعت للفحص الطبي، ولا شك أنَّ هناك مزيداً من الضحايا. هذه الحادثة ليست الأولى التي تقع في خلوة ولن تكون الأخيرة، ولكن لأنَّ الخلاوي ليست لديها جهة رسمية تقف على أمرها، لم تُحرِّك الحكومة ساكناً ولم يتحرَّك أهالي الضحايا المغلوبين على أمرهم، فهؤلاء ما ألحقوا أطفالهم بالخلاوي إلا لقلّة حيلتهم، فهذه الجريمة حين وقعت في مدارس تحرَّكت وزارة التربية وأولياء أمور الطلاب؛ لأنَّ مَنْ يرسل ابنه إلى المدرسة ليس كمن يرسل ابنه إلى الخلاوي.

أعتقد أنَّ ما يحدث من جرائم في الخلاوي وانتهاكات وإساءة مُعاملة الأطفال واستغلالهم، مصيبة كبيرة تستحق الوقوف عندها لإنقاذ الأطفال، وسُكوتنا عنها جريمة يندى لها جبين الإنسانية، فإن كانت الحكومة لا تريد إغلاق الخلاوي لأسبابٍ تتعلَّق بمصالحها السياسية، فما مصلحة المجتمع من أن يسكت على هدر كرامة وطفولة أطفاله ليستقبلهم بعد سنين فاقداً تربوياً ومرضى نفسيين وعقليين وجسديين، وهؤلاء بعد سنوات قليلة سوف

يكونون أعداءً للمُجتمع الذي أهملهم ورمى بهم إلى الخلاوي وشيوخ عديمي أخلاق وضمير ودين!! لقد قلت من قبل، لا بُدَّ من إغلاق هذه الخلاوي ونقل هؤلاء الأطفال إلى المدارس، ووضع برنامجٍ خاصٍّ لتأهيلهم حتى يلحقوا بمن هم في أعمارهم بالمدارس، وهذه دعوةٌ إلى جميع المواطنين أصحاب الضمير الحي وكل المنظمات والجمعيات المهتمة بحقوق الأطفال.. أنقذوا الأطفال ضحايا الخلاوي^(٣٨).

كتبت أيضاً الأستاذة أسماء جمعة أنه قبل أيام قامت الشرطة بتحرير مجموعة من الأطفال، بلغ عددهم ١٦ طفلاً أعمارهم تقل عن عشر سنوات من إحدى الخلاوي، وهم مقيدون بسلاسل وكأنهم مجرمون. ومن المؤسف أن الخلوة تقع على بُعد كيلومترات قليلة من مركز الحكومة، وهو ليس الحادث الأول ولن يكون الأخير إذا استمرت في العمل ولم يتم إنقاذ الأطفال منها. سنوات طويلة ونحن ننتقد وضع الخلاوي في السودان لا النظام المخلوع وجد لها حلاً ولا شيوخها اختشوا وطوروها؛ مما يعني أنهم ليسوا على استعداد لتطويرها لأسباب لا نعرفها.. والخلاوي كلها تعمل بنظام واحد وتمارس العملية التعليمية بطريقة مختلفة وكأنها في القرن الماضي.. الأطفال يجلسون على الأرض ويكتبون على ألواح خشبية يستخدمون قلمًا وجبرًا تقليدياً، والفصل عبارة عن راكوبة من القش أو الزنك لا تقي من حر ولا برد، وفي المساء يدرسون تحت إضاءة ضعيفة.. وأطفال الخلوة محرومون من الاستمتاع بالتكنولوجيا الحديثة حتى التلفاز. إذا تحدثنا عن السكن فهو ليس بأفضل حالاً.. الأطفال ينامون على الأرض وعلى فرش خفيف ويتغطون بأغطية خفيفة شتاءً أو صيفاً لا تتغير ودائماً عددهم كبير، أما

٣٨ - أسماء محمد جمعة، صحيفة التيار، ٣مايو ٢٠١٨.

الأكل والنظافة فحدث ولا حرج. جميع أطفال الخلاوي تقريباً يعانون سوء التغذية بسبب الأكل السيئ وتنتشر بينهم الأمراض بسبب الجوع والانتكاظ وسوء النظافة. الأمر المهم جداً هو أننا إذا قمنا بدراسة الخلاوي سنجد أن أغلب الأطفال - إن لم يكن كلهم - يعانون اضطرابات نفسية؛ بسبب الحرمان من حنان الأم والمناخ الأسري والقهر والكبت والإهمال والإحساس المستمر بالخوف.. فالأطفال يأتون في أعمار صغيرة ويكبرون في هذه المعتقات التي تُسمى خلاوي وبلا شك يكبرون بعِلل كثيرة، والأخطر أنهم يعيشون معاً صغارَ عمرٍ ومراهقين وشباباً وكلكم تعرفون خطورة هذا الأمر. وعليه، فالخلاوي تُخرج مرضى وأصحاب عاهات نفسية وعقلية وبهذا فهي تشكل خطراً على المجتمع؛ خاصة أن عدد الأطفال في الخلاوي ليس قليلاً وهناك بعض منهم أجانب ولا أدري كيف يدخلون البلد، وهذه مشكلة أخرى! الأمر المحير فعلاً هو سلوك الشيوخ الذين يرتضون لأطفال الناس أن يعيشوا هذه الحياة القاسية والتعليم المتخلق ولا يرضونه لأطفالهم.. فيلحقونهم بالمدارس الخاصة وفي أوقات فراغهم يذهبون إلى النوادي والحدائق ويلعبون مع أولاد الحلة، وبعضهم لا يسمح لأولاده بالاحتكاك بأطفال الخلوّة وبلا شك هذا الأمر سيكون له ما بعده. ما نود أن نقوله هو أن التعليم تطورت وسائله وأصبحت سهلة وممتعة. حفظ القرآن نفسه لم يعد أمراً صعباً ويمكن للطفل أن يحفظ القرآن من الموبايل بطريقة أفضل، وهناك قنوات إذاعية وتلفزيونية وتطبيقات تتيح للأطفال حفظ القرآن بطريقة سهلة وممتعة. وعليه نقول للسادة المواطنين لا تلقوا بأطفالكم إلى التهلكة فأنتم بهذا تجرمون في حقهم، ومن أراد أن يسهم في تحفيظ القرآن عليه أن يقدم مساهمته بطريقة تليق به.

خلاصة القول، نحن نقرع ناقوس الخطر لكل الجهات المهتمة بحقوق الطفل.. وننبه الحكومة الانتقالية إلى أن تسرع في معالجة أمر الخلوي فكل مرة تفاجئنا بما هو سيئ، وهي أصلاً مؤسسات غير رسمية ولا راعي لها ويجب إغلاقها نهائياً؛ ومن ثم إعادة الأطفال إلى ذويهم وإحاقهم بالمدارس والصرف عليهم. وأرجو ألا نتباطأ في هذا الأمر؛ فوضع الأطفال في هذه الخلوي حقاً خطير، ونقول للمرة الألف أنقذوا هؤلاء الأطفال^(٣٩).

كتب الأستاذ ضياء الدين بلال.. في كثيرٍ من الفواجع نكتفي بالحسرة والاستهجان، وإفراغ غيظنا بشتيمة الحكام والمسئولين ولعن الزمان. كل جريمة تأخذ مساحةً واسعةً من التناول وصرخات الاشمئزاز الإسفيرية، ثم تمضي بعد ٤٨ ساعة إلى قاع النسيان. لا تمضي أيّام دون أن نطالع أخباراً عن جرائم اغتصاب تُرتكب في حق الطفولة والبراءة. الكارثة أن جرائم اغتصاب الأطفال تحوّلت من أفعال ثنائية محدودة إلى جرائم شبه جماعية، يرتكبها شخصٌ واحدٌ في حق مجموعة من الأطفال، في مكان يُفترض فيه الثقة والأمان. في الفترة الأخيرة كثرت جرائم اغتصاب الأطفال في الحواضن التعليمية المدارس والخلوي. قبل ثلاثة أيام تلقيت اتصالاً من أحد القراء يخبرني عن جريمة بشعة وقعت في منطقتهم: إمام مسجد ومأذون قام لاغتصاب طفل في الثامنة من العمر. المتهم يقوم بتدريس القرآن لمجموعة من الأطفال ويوم الحادثة قام باستدراج الضحية عقب خروج زملائه وقام باغتصابه بطريقة بشعة. الطفل أبلغ أسرته التي أخبرت الشرطة وأُحيل للكشف الطبي وألقي القبض على المتهم وأقرّ بفعلته، وسجل اعترافاً قضائياً بارتكابه الجريمة وجاءت أقواله مطابقة مع أقوال الطفل المغتصب. هذه ليست الحادثة الأولى ولن تكون الأخيرة، فقبل

٣٩ - أسماء محمد جمعة، صحيفة التيار، ١٤ فبراير ٢٠٢٠.

سنوات ضجت مدينتنا بحادثة مشابهة تمام الشبه من حيث صفة المتهم وطريقة الاستدراج. حادثة القصارف تُعتبر الأكثر بشاعةً حين اغتصب شيخ تلميذين يدرسان في خلوة يديرها، والأدهى أن المصادر أكدت أن عدد المغتصبين بعد التحري والتقصي بلغ ١٣ وليس اثنين فقط. في مدينة الفتح أم درمان أوردت الصحف قبل فترة أن شيخ خلوة قام باغتصاب ثلاثة من الطلاب. المحزن أن الأجهزة المختصة اكتفت فقط بتشديد العقوبات إلى حد الإعدام، ورغم أن هذا التشديد له سنوات فإنه لم يحد من الظاهرة ولم يمثل رادعاً للمجرمين، والدليل على ذلك ازدياد الممارسات الشاذة بصورة أكثر وحشية. مع كل هذه الجرائم المتكررة في الأماكن ذات القدسية المجتمعية مثل الخلاوي والمدارس، لم تبندر جهات الاختصاص منظومة وقائية حمائية تحدُّ من جرائم اغتصاب الأطفال. كان الأولى والأجدى.. أن تصبح قضية حماية الأطفال من التحرش والاعتصاب ذات طابع وقائي احترازي قبل وقوع الجريمة والعقاب عليها.. هي طريقتنا العقيمة في العلاج حينما يتكاثر الناموس والذباب لا نكافحهم في أطوارهم الأولية ومصادرهم البيئية ولكن نكتفي دومًا بمطاردتهم بمبيدات قليلة الفاعلية وباهظة الثمن.. الأولى دومًا وجود مادة مدرسية لتعلم الأطفال كيفية حماية أنفسهم من المعتدين ورد أذاهم وعدم التستر عليهم. لماذا لا تخصص مواد إعلامية ثابتة تثقف الأسر عن كيفية حماية أطفالهم وتشجيعهم على البوح، والأفضل التوسع في ذلك عبر الأعمال الدرامية والبرامجية التثقيفية. للأسف معظم الخلاوي الموجودة الآن والمستمرة على ذات النهج القديم منذ السلطنة الزرقاء حتى اليوم، لم ترقَ إلى مستوى يحفظ كرامة الأطفال ويصون إنسانيتهم. عدد كبير من أطفال الخلاوي تبدو أوضاعهم أقرب لأوضاع المشردين بل أسوأ منهم على

مستوى التغذية، ولا تزال كثير من الخلوي ممالك مغلقة يسكنها الخوف والرعب وثقافة الإذلال. معظم الخلوي عبارة عن مجموعات مغلقة في أماكن ضيقة ومزدحمة في أعمار متفاوتة، تتلقى غذاءً بائساً في بيئة رديئة وتربية قاسية ولا تسلم من الاعتداءات الجنسية، ماذا يستفيد المجتمع من تلك الخلوي إذا كانت تلك الخلوي تخرج إليه حافظين للقرآن وفاقدين لكرامتهم وغسانيتهم.. القرآن ليس نصوصاً تُحفظ بالزجر والعقاب؛ بل هو منهج حياة كريمة ومنظومة قيم. ليت الجهات المختصة شرعت في وضع شروط وضوابط ملزمة وصارمة قابلة للرقابة والمتابعة لخلوي القرآن، بحيث يتم إغلاق الخلوي التي لا تلتزم بتوفير البيئة التربوية والأخلاقية والصحية السليمة ولا يقوم على أمرها شيوخ مؤهلون لذلك الدور. نعم هذه الظواهر الشاذة لن تنتهي بتلك الإجراءات ولكن من المهم الحد منها في أضيق حيز عبر ثنائية التثقيف والعقاب والوقاية قبل العلاج؛ حتى لا ينشأ جيل مكسور العين وجريح الكبرياء تحركه نوازع الشر والانتقام^(٤).

كتب الأستاذ سليمان مختار في صحيفة المجهر السياسي، أنه قضت محكمة الطفل بالقضارف، برئاسة القاضي "عمر عوض إدريس" بحكم الإعدام على شيخ خلوة حي الجمهورية شمال بعد إدانته باغتصاب ثلاثة من تلامذته بالخلوة الملحقة بالمسجد في شهر أبريل الماضي، أثناء العطلة الصيفية، حيث أوضحت المحكمة أن الاتهام تقدم بقضية متكاملة الأركان تقود إلى اتجاه واحد هو إدانة المتهم دون سواه، حيث قام الاتهام بتعزيد بيناته، بينات الأطفال المجني عليهم، وبينات أخرى تمثلت في الوقائع المتشابهة، بجانب التقارير الطبية من الطبيب الشرعي المرفقة

٤٠ - ضياء الدين بلال، شبكة السودان الإخبارية، ٣ سبتمبر ٢٠١٨.

للمجني عليهم؛ مما قاد المحكمة للاطمئنان التام للبيانات التي تقدم بها الاتهام، والتي فسرت في مجملها عناصر وأركان المادة (٤٥/ق) من قانون الطفل لسنة ٢٠١٠، وعليه أصدرت حكمها بالإعدام للمتهم حتى الموت، وقال رئيس النيابة العامة، مولانا "أحمد محمد الحسن" إمام المحكمة، بأن حكم الإعدام الذي أوقعته محكمة الطفل على المتهم إمام المسجد وشيخ الخلوة باغتصاب تلامذته، يتناسب مع الجرم والفعل الذي اقترفه المتهم، وكانت النيابة العامة بالقضارف، قد باشرت الدعوى على مستوى رفيع جداً برئاسة رئيس النيابة العامة ووكيل النيابة الأعلى بالولاية، ووكيل النيابة الأعلى للنيابات المتخصصة، بجانب وكيل أول النيابة المتخصصة ووكيل أول نيابة القضارف، ووكيل أول نيابة حماية الأسرة والطفل مولانا "مرتضى عوض علي"، وأكدت النيابة أن الحكم الذي صدر بحق الشيخ المتهم بالاعتصاب يؤكد سيادة حكم القانون، ويحقق الردع التام لكل من تسول له نفسه التحرش بالأطفال وارتكاب مثل هذه الأفعال الفاحشة، وهو يعزز الثقة في القضاء السوداني، فيما رأى محامون وحقوقيون خلال حديثهم لـ (المجهر) عقب الجلسة، أن المتهم مُنح حقوقه القانونية في الدفاع عن نفسه، فيما أكدت الناشطة الحقوقية والمجتمعية "كوثر السجان" وأمينة مكتب الدعم النفسي والاجتماعي للمنظمة الوطنية لحماية الأطفال في تصريحات صحفية عقب الجلسة، أنها فخورة بالتفاعل المجتمعي مع قضايا الأطفال؛ خاصة قضايا التحرش والاعتصاب، وأبدت امتعاضها من حادثة اغتصاب هؤلاء الأطفال من قبل شيوخ الخلاوي، في حوادث تتكرر من حين لآخر في كل ولايات السودان حتى أصبح أولياء الأمور يتخوفون من شيوخ الخلاوي، وقالت نحن حصلنا على الحق الجنائي لكن نطالب بإنفاذ حكم الإعدام على

هذا الشيخ في ميدان عام؛ ليكون عبرة وعظة للآخرين. وقالت إن تطبيق حكم الإعدام أمام ملاً من الناس يحدُّ من تفتُّشي ظاهرة التحرش بالأطفال، وطالبت بتوفير العلاج النفسي لهؤلاء الأطفال للتعافي من هذه الواقعة البشعة والمقرزة، باغتصاب الأبرياء داخل الخلاوي، وطالبت الجهات المختصة بمراجعة أمر الخلاوي ووضع شروط كافية لاختيار منسوبيها من شيوخ الخلاوي خاصة، وأن ملف الخلاوي أصبح يواجه الكثير من الانتقادات من قبل المجتمع جرّاء تصرفات من ينتسبون إليها في انتهاك براءة الأطفال رغم أننا لا ينبغي علينا الأخذ بجريرة بعضهم، وليس كل شيوخ الخلاوي هكذا. وقالت لا بد من مراجعة قضية الخلاوي ومن نأمنهم على أبنائنا، وأشارت أمين مكتب الدعم بالمنظمة الوطنية لحماية الأطفال، إلى أن الخلل الإداري يكمن في كيفية إدارة شئون تلك الخلاوي في ظل وجود حادثة سابقة بمحلية المفازة، كان أبطالها أيضاً شيوخ خلاوي جرى خلالها اغتصاب طفل ومقتل أحد شهودها، وأعلن رئيس هيئة الادعاء ونقيب المحامين، الأستاذ بابكر عبد الرحمن عن تكوين مكتب دائم للدفاع عن قضايا الأطفال بصورة عامة، وقضايا الاغتصاب على وجه الخصوص، مطالباً منظمات المجتمع المدني بتحريك برامجها نحو تثقيف الأسر والأطفال حول مسببات وقوع جرائم الاغتصاب، والأسر بعدم الصمت على مثل هذه الجرائم^(٤١).

كتبت الأستاذة عرفة خواجه حول الخلاوي^(٤٢) "هنالك أوضاع مأساوية وظروف بالغة التعقيد يعيشها أطفال خلاوي الشيخ التي تقع بمحلية شرق النيل، منطقة عد بابكر ويعاني طلابها من انعدام لأبسط مقومات الحياة، حيث المياه مالحة الطعم، وقال طلاب الخلوة أحياناً تكون المياه عكرة، أما

٤١- سليمان مختار، صحيفة المجرر السياسي، ٢ يوليو ٢٠١٨.

٤٢- عرفة خواجه، ممالك مغلقة يسكنها الرعب والإنزال، سودان توداي، ١٥ نوفمبر ٢٠٢٠.

السكن، فالغرفة بها عدد كبير من الأطفال الطلاب يفترشون الأرض لعدم وجود أسرة كافية بالخلوة وسط الأنقاض والقاذورات؛ ما جعل الغرف ملاًدًا آمنًا للآفات الضارة، وهناك عدد كبير من أطفال الخلوة مرضى بأمراض غير معروفة، ولم تستطع إدارة الخلوة ترحيلهم إلى المستشفى لتلقي العلاج نسبة لعدم وجود مُعينات؛ إضافة إلى الظروف الاقتصادية الطاحنة، هذا ما أدى إلى تفاقم الأوضاع وازدياد في عدد المرضى وسط الأطفال، وقال أحد الشيوخ بالخلوة: إن معظم طلاب الخلوة هم من نازحي دارفور وجنوب كردفان تم قبولهم في الخلوة لحمايتهم من قوات التمرد وآخرون فقدوا أسرهم. عندما وصلت إلى الخلوة (بعد مشوار طويل قارب الساعة ونصف) أول ما استوقفتني هي تلك الروائح الكريهة التي تنبعث من داخلها بسبب قريها من زبينة مكتظة بالأبقار، وفي جزء آخر من الخلوة يوجد مجموعة من الأطفال يتناولون وجبة الفطور وهي عبارة عن (بليلة) وآخرون يجلسون خلف الجدران من دون طعام، تتراوح أعمارهم بين (٨، ٩، ١٠) اقتربت من أحدهم وسألته عن عدم تناول الطعام مع أقرانه أجابني قائلاً: (دليل شيوخ بياكلوا أول ونحن بناكل وراهم) وواصل حديثه قائلاً: أنا من ولاية جنوب دارفور جنّت إلى الخلوة من أجل حفظ القرآن الكريم ولكني أرغب في العودة إلى أهلي لأنني أجد معاملة قاسية من بعض الشيوخ بالخلوة، أحياناً يتم ضربني إن لم أتمكن من حفظ القرآن، فضلاً عن الجوع وعدم توفر الطعام، وأردف قائلاً: (مرات بنقعد جعائين اليوم كلو وبالمساء بناكل بليلة والأولاد بتخافتوا في الأكل عشان كده بشيل لقمتين بس ويعديها بقوم)، وأضاف بأن أهالي المنطقة أحياناً يجلبون لهم بعض الطعام حينما يكون لديهم مناسبات، ولكن هذا الطعام الذي يأتي من الخارج أحياناً يسبب

لهم الإسهال المزمن، وأحياناً يكون فسد بفعل الطقس. في غرفة مجاورة، توجد مجموعة من الأطفال المرضى بأمراض غير معروفة وعددهم خمسة عشر طفلاً بأعمار مختلفة يفترشون الأرض دون رعاية من أحد وآخرون يتم علاجهم بـ (الحماية) فقط بالرغم حاجتهم الماسّة إلى العلاج تحت إشراف طبيب مختص، البعض من هؤلاء الأطفال يعانون ظروفًا صحية خطيرة.

عدد كبير من أطفال الخلوة يعانون من الحساسيات المختلفة والفطريات، فضلاً عن سوء التغذية، فعندما تنظر إلى أحدهم يظهر لك جلياً حجم معاناتهم مع الفقر والجوع والمرض وظهر ذلك في أجسادهم الهزيلة، فهم لا يستطيعون الصمود في موجة البرد في تلك المنطقة؛ خاصة أنهم لا يمتلكون مفارش جيدة لتحميهم من زمهرير الشتاء. أجمع أطفال الخلوة على سوء الأوضاع التي لا تحتمل وأنهم أحياناً يعانون من الجوع خاصة وأنهم في فصل الشتاء، حيث الجوع المفرط، واشتكى أطفال الخلوة من ارتفاع نسبة الأمراض بينهم خاصة الأطفال الصغار منهم، فهم يواجهون إهمالاً مروّعاً وإدارة الخلوة لا تستطيع توفير متطلبات العيش الكريم؛ خاصة وأنها تعتمد على الخيرين وديوان الزكاة في توفير مستلزمات إعاشة هؤلاء الأطفال، فهم بحاجة ماسّة إلى غذاء متكامل يتماشى مع أعمارهم الصغيرة، فضلاً عن ضرورة توفير أسرة لهم. جلست إلى أحد الأطفال المرضى فضلّ عدم ذكر اسمه، قال إنه مريض منذ أسبوع يعاني من ألم في القلب ودوران أحياناً يؤدي إلى الإغماء ولم تستطع إدارة الخلوة ترحيله إلى المستشفى لتلقي العلاج، رغم أن الطفل كان يعاني ويتألم لم أمتنع نفسي من طرح بعض الأسئلة عليه، أخبرني أنه فقدَ والديه بسبب الحرب ومضى قائلاً: إن والده قُتل في أحداث دارفور منذ فترة طويلة وتم ترحيله

إلى الخلوة من قبل خيلانه من أجل الدراسة وحفظ القرآن الكريم، ولكن يبدو أن الظروف الصحية التي يمر بها جعلته يغير رأيه في البقاء داخل الخلوة. أبدى أحد شيوخ الخلوة فضل حجب اسمه بالغ سخطه وتذمره من عدم توافر مركز صحي بالخلوة؛ الأمر الذي ساعد في تفشي الأوبئة وسط أطفال الخلوة خاصة الحساسيات المختلفة والحميات، كما اشتكى من زريبة الأبقار المتواجدة بالقرب من الخلوة فهي توزع الروائح الكريهة في كل أنحاء الخلوة مسببة بعض الأمراض وسط طلاب الخلوة، مثل (الربو الحاد) بالإضافة إلى بعض من الأمراض الأخرى، وأكد وجود حالات مرضية بالأزمة الحادة، ونفى ما ذكره الأطفال بحيث أنهم يعانون من عدم انتظام الوجبات وأحياناً يبقون يوماً كاملاً من دون زاد، وأحياناً يعتمدون على وجبة الد (البليلة وبقايا المناسبات) كوجبة رئيسة، معللاً أن ديوان الزكاة بالمحلية يقوم بمساعدتهم في المواد التموينية بجانب المساعدات التي يتلقاها من جهات أخرى. لا تزال كثير من الخلاوي ممالك مغلقة، يسكنها خوف والرعب وثقافة الإذلال، معظم الخلاوي عبارة عن مجموعات مغلقة، في أماكن ضيقة ومرنحمة في أعمار متفاوتة، تتلقى غذاءً بائساً في بيئة رديئة وتربية قاسية، ولا تنجو من الاعتداءات الجنسية.

ماذا سيستفيد المجتمع إذا كانت تلك الخلاوي تُخرج إليه حافظين للقرآن وفاقيدين لكرامتهم وإنسانيتهم؟! ليت الجهات المختصة، شرعت في وضع شروط وضوابط ملزمة، قابلة للرقابة والمتابعة لخلاوي القرآن، بحيث يتم إغلاق الخلاوي التي لا تلتزم بتوفير البيئة التربوية والأخلاقية والصحية السليمة، ولا يقوم على أمرها شيوخٌ مؤهلون.

مؤخراً قام الاستاذ فتح الرحمن الحمداني ولمدة سنتين بتصوير واقع

الخلاوي داخل ٢٣ خلوة في جميع السودان. وهو خريج الخلاوي وينتمي إلى أسرة دينية معروفة في السودان بالخلاوي، وقال إنه عمل على وضع حدٍّ لمعاناة هؤلاء الأطفال وكشف الحقيقة للجميع. وتنكر في زي طالب خلوة ووثق عبر كاميرا هاتفه للانتهاكات المخيفة في الخلاوي. أظهر التوثيق العديد من الانتهاكات ضد الأطفال، منها التكبيل بالسلاسل والضرب، أدلة على اعتداءات جنسية على بعض الطلبة، توثيق لطفل تعرض لضرب مبرح، وسجن وتعرض للتعذيب والحرمان من الطعام والماء لخمسة أيام، ودُهنت جراحه بالقار حتى أوشك على الموت متأثراً بجراحه، رصد الإساءات المنهجة والتعذيب والعنف البدني والجنسي الذي مُورس بحق أطفال لم يتجاوز بعضهم الخامسة من العمر، كالجلد بالسياط والتكبيل والإجبار على النوم عراة فوق أسطح حديدية والحبس في غرف مظلمة مع الحرمان من الطعام والشراب، والاعتداء الجنسي. كما أوضح التحقيق اقتناع بعض الشيوخ بالضرب والتقييد بالسلاسل، حيث ظهر في مقابلة مع أحد الشيوخ إقراره بأن الضرب والتقييد بالسلاسل مليوناً بالمنافع. الجدير بالذكر، برغم الإبلاغ عن الانتهاكات في العديد من الخلاوي، لم تُغلق هذه الخلاوي^(٤٣).

كتب الأستاذ عبدالجليل سليمان الذي عمل في عدة صحف سودانية منها المجهز السياسي، واليوم التالي والكيويوست بعنوان: أهوال المدارس الدينية السودانية^(٤٤): حبس وضرب وانتهاكات جنسية للأطفال، حول هذا التحقيق التلفزيوني وذكر أن التحقيق، أظهر أطفال الخلاوي وهم

٤٣ - الحمداني، قناة البي بي سي العربية بالتعاون مع شبكة "إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية" في أكتوبر ٢٠٢٠.

٤٤ - عبدالجليل سليمان، أهوال المدارس الدينية السودانية.. حبس وضرب وانتهاكات جنسية للأطفال، كيويوست، ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٠.

يتعرضون إلى التنكيل والتعذيب والاستغلال، إلى الواجهة مجدداً، وأصبح حديث الرأي العام المحلي والدولي، بينما السلطات لا تحرك ساكناً؛ إما خشية من استنارة شيوخ هذه (الخلاوي)، وإما لأنها لا تخضع لإدارة وزارة التعليم، وإنما نسبياً لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي يسيطر عليها في الغالب أتباع هؤلاء الشيوخ، الذين يملكون ويديرون المدارس الدينية موضوع الانتهاكات الجسيمة. وأن مسئولاً كبيراً في وزارة التربية والتعليم بولاية الخرطوم قال لـ "كيوبوست": إن المدارس الدينية (الخلاوي)، لعبت دوراً مهماً في تاريخ التعليم بالسودان؛ بل ومنها انطلق قطار التعليم ولم يتوقف حتى الآن، لكنها كانت تخضع للمراقبة إبان الإدارة البريطانية، وما إن نال السودان استقلاله حتى أصبحت مستقلة بذاتها عن الحكومة، لا تعرف مصادر تمويلها، ولا توجد إحصائيات دقيقة بعدد طلابها، ولا يُعرف شيء عن منهجها الدراسي ولا عن كيفية تعيينها للمُدرسين، وكل ذلك تحت عنوان واحد هو إحياء القرآن والعلوم الدينية، وهذه متاجرة رخيصة بالدين من وجهة نظري. ما حدث من تعذيب وتنكيل ليس غريباً، فهذا ظل يحدث باستمرار وطوال الوقت، والحكومة ممثلة في وزارتي الشؤون الدينية والتربية والتعليم والأجهزة العدلية والشرطية، كلها تعلم ذلك وتغض الطرف عنه؛ لما لشيوخ هذه الخلاوي والمستفيدين منها من سطوة وقوة يبتزون بها ويطيحون من خلالها بكل من تسوّل له نفسه اتخاذ أي إجراءات ضدهم؛ بما ذلك وسائل الإعلام الرسمي والخاص، كلها تخشى بأس هؤلاء وتتواطأ معهم أحياناً.

ليس لديّ أكثر من التأكيد أن هذه الممارسات البشعة موجودة ومستمرة؛ بل هي أقرب إلى العبودية، فيها تقييد بالسلاسل وعقوبات جسدية وحشية

واستغلال جنسي، كما أن بعض الشيوخ يجبرون التلاميذ القصر على العمل، ويأخذون منهم الأجور القليلة التي يتحصّلون عليها. وفي السياق ذاته، اعتبر المحلل السياسي حذيفة الجراد أن تاريخ وجود "الخلاوي" يعود إلى قرون؛ فقد كانت المؤسسة التعليمية الوحيدة في مجتمعات لم تكن تعرف أنشطة أخرى غير الرعي والزراعة وبعض الحرف اليدوية ذات الصلة بهما، حينها كان المجتمع رقيقاً على هذه "الخلاوي" وله سطوة كبيرة عليها؛ لأنه من يدعمها مالياً؛ لذلك كان يختار المشرفين عليها بنفسه، ويخضعهم لرقابة دائمة. يضيف الجراد: "بالنتيجة قلّت مراقبة المجتمع على (الخلاوي) والقائمين عليها؛ خصوصاً في المدن، حيث لا يشرف على اختيارهم أحد، يفرضون أنفسهم على زبائنهم من أبناء النازحين وعلى الفئات الأشد فقراً؛ حيث إن غياب التعليم المجاني علاوة على الفقر المدقع؛ يسهمان في ردها بمزيد من التلاميذ؛ ما يجعل التبرعات والدعم المادي والعيني تنهال على (شيخها)، وهذا ما أغرى فئات أخرى من الدجالين والشعوذين على الاستثمار في هذا المجال، فصارت (الخلاوي) واجهات لممارسة الدجل والشعوذة، وظهرت على شيوخها أمارات الثراء كسراء المنازل والسيارات الفاخرة وامتلاك العمارات والأعمال التجارية. من خلال مشاهداتي المباشرة والشخصية ومراقبتي لإحدى الخلاوي جوار منزلي، لاحظت أن الشيخ يُرسل أبناءه إلى المدارس الحديثة، بينما يستغل تلاميذه في الأعمال داخل الخلوة والطلبات الخاصة بالمنزل، كما يؤدون مختلف الأعمال المنزلية داخله. الأدهى أن الخلوة تفوّض بعض سلطات الشيخ للتلاميذ الأكبر سنّاً (مراهقين) فيتحولون إلى (شبه معلمين)؛ ليفرضوا هيمنتهم على التلاميذ (الأطفال)، فيوقعون عقوبة الجلد عليهم وبالطبع في وضع مختل كهذا؛ لا يمكن

ضمان عدم وقوع اعتداءات جنسية. وأشار الصحفي والباحث السياسي عبدالرحمن فاروق، إلى أن الظواهر السلبية متعددة داخل مؤسسة الخلاوي في السودان، ولا تقتصر على العنف ضد التلاميذ بل تتجاوزها، فهؤلاء الأطفال يعيشون ظروفًا صحية سيئة من ناحية التغذية والنظافة والراحة، ويعانون تقشُّفًا وشطْفًا لا يليق بأعمارهم ويتعارض مع ظروف نموهم الطبيعي، فضلًا عن أن كل هذه الظروف القاسية ترتبط في أذهانهم بالقرآن الكريم؛ وهو ما يسهم في خلق بنية وعي ديني تحوّل دون قدرتهم على العيش والاندماج في واقع مدني متعدد ومتحضر. وأشار فاروق إلى أن الخلاوي غير خاضعة لأي نوع من الرقابة؛ لذلك سرعان ما تصبح مكانا مثاليًا لممارسة كل الانتهاكات.

كتبت الأستاذة رفقة عبدالله حول الخلاوي وحادثة اغتصاب ٢٠ طفلًا بخلوة بشمال دارفور.. أن حادثة اغتصاب ٢٠ طفلًا بخلوة بشمال دارفور؛ ليست الأولى التي تقع في خلوة، ولن تكون الأخيرة، بسبب أن الخلاوي ليست لديها جهة رسمية تقف على أمرها، لم تحرك الحكومة ساكنًا ولم يتحرك أهالي الضحايا المغلوبين على أمرهم، فهؤلاء ما ألحقوا أطفالهم بالخلاوي إلا لقلّة حيلتهم. بينما يرى بعض الخبراء أن هذه الجريمة حين وقعت في مدارس تحركت وزارة التربية وأولياء أمور الطلاب؛ لأن من يرسل ابنه إلى المدرسة ليس كمن يرسل ابنه إلى الخلاوي. أجرت الأستاذة رفقة تحقيقًا صحفيًا حول الموضوع حيث أكدت فيه الأمين العام لمجلس رعاية الطفولة بولاية شمال دارفور، الدكتورة، حكمة الحافظ محمود، عن معلومات جديدة بشأن تعرض أطفال خلوة قرآنية إلى اغتصاب جنسي من قبل شيخ الخلوة بمحلية "أمبرو" التي تبعد بطول "٢٩٠" كيلومترًا شمال غرب مدينة

الفاشر. وأكدت حكمة أن عدد الأطفال المغتصبين عشرون طفلاً من الذكور، تم الاعتداء عليهم من قبل شيخ الخلوة المتهم في القضية منذ شهر نوفمبر الماضي. وقطعت بأن السلطات الأمنية قد أَلقت القبض على المتهم في القضية منذ تاريخ الاعتداء على الأطفال، وحبسه في سجن "شالا" شمال الفاشر. وأوضحت أن المتهم قد أُلحق أذى جسيماً في الأجهزة التناسلية لبعض الأطفال المغتصبين. ونوهت بأنهم جلسوا مع والي ولاية شمال دارفور، نمر محمد عبدالرحمن؛ لمناقشة الأمر، وأسفر ذلك عن القبض على المتهم، وترحيل عشرة أطفال إلى مدينة الفاشر لتلقي العلاج، وعقد جلسات علاجية مع الاختصاصيين النفسيين لمدة شهر كامل. قالت حكمة حافظ إن معرفة اغتصاب الأطفال تمت عن طريق شبكة حماية الأطفال وبرتت حجب المعلومات "بأنهم حجبوا المعلومة عن الإعلام نظراً للحالة النفسية التي يعيشها الأطفال والأسر"، وأكدت أنهم كانوا في طريقهم لتمليك المعلومات للرأي العام بعد محاكمة المتهم وفقاً لقانون الطفل. أدان رئيس مبادرة مكتبات الأطفال بشمال دارفور الأستاذ مالك ذهب اغتصاب أطفال الخلاوي، وقال: إن هذا السلوك إجرامي، ويجب محاكمة الجاني بالإعدام شنقاً، مشيراً إلى أنه تم إلقاء القبض على الجاني منذ فترة. موضحاً أن بعض الجهات تتستر على الجريمة. مؤكداً أن عدد الضحايا أكثر من (٢٠) طفلاً وهناك تأثيرات في الأعضاء التناسلية. منوهاً إلى أن أغلب الخلاوي فيها مثل هذه الانتهاكات وسلب حقوق الأطفال. وطالب من مجلس رعاية الطفولة مراجعة كل الخلاوي ومحاسبة الجناة وتقديمهم للعدالة. لافتاً إلى أن بعض شيوخ الخلاوي غير مثقفين بأصول الدين ويحفظون القرآن الكريم فقط. بينما تقول أستاذة علم النفس لبنى أحمد، إن الدوافع تختلف من

شخص إلى آخر باختلاف البيئة السائدة التي تشكل المؤثر الأول، وهناك بعض الشيوخ يعانون من عدم الاتزان النفسي الذي لا يظهر ولا يكون خاضعاً لأي معايير سلوكية، ترتبط بالعادات والتقاليد والأعراف والقيم الأخلاقية والدينية التي تنهى عن الظاهرة الخطرة، وأكدت أن الاعتداء مرتبط بالشذوذ، وقد يكون أحدهم تعرض للاغتصاب في صغره فظل مخزناً في ذاكرته، ويخرج إلى السطح متى ما وجد الجو مهيئاً، أو وجد ضالته، أيضاً قد يأتي الفرد من بيئة يعاني فيها من اختلاف المعايير النفسية والاجتماعية السيئة؛ كلها عوامل تتفاعل داخل المُغتصَب وتحوّله إلى شخص ينتهز أي فرصة لإشباع رغباته المريضة، لما تلقاه في حياته من سلوكيات سالبة. إضافة لغياب الرقابة لاعتبار أنها مكان آمن، ولكن بالنسبة إلى بعض الشيوخ تصحو النزوات لديهم ولا يتم وضع معايير أو اختبارات لهم باعتبار أنهم حفظة للقرآن الكريم، وربما يكون هذا الشخص تعرض لعنف أو ثورة غضب مكبوت، ويكون الاغتصاب ناجماً عن حالة غضب يفرغ فيه كل مشاعره السالبة وينتقم لكل ما واجهه في حياته، وأحياناً يكون الاغتصاب إحساس إهانة للآخر؛ أي تتعدد الأسباب التي يختبئ وراءها سلوك الفرد. ومضيفاً "نحن كمجتمع سوداني ننسى تماماً اختلاف البيئة والتنشئة والتربية وكل ما قام عليه الفرد من أنماط سلوكية؛ بسبب عدم إدراكنا لواقع الحياة ومعايشة البعض. علق رئيس منظمة "إعلاميون من أجل الأطفال" مجدي يوسف الزين: إن حادثة اغتصاب الخلاوي تُعد من الانتهاكات، وتكررت كثيراً مثل هذه الظاهرة ويجب عدم إخفاء مثل هذه الجرائم ونطالب بتقديم كل من شارك في هذه الجريمة للعدالة، وعلى حكومة الولاية الوقوف على هذه القضية وتقديم الجناة للمحاسبة ويجب أن

تعمل المنظمة على مثل هذه القضايا وتقدم السند القانوني، وعمل ورش لمعرفة حقوق الإنسان وتقديم النصح والإرشاد لتقليل مثل هذه الجرائم. قال رئيس المفوضية القومية لحقوق الإنسان رفعت ميرغني، إن مكتب الفاشر يتابع تفاصيل هذه الجريمة والانتهاك الجسيم الذي تعرض له الأطفال في الخلوة، ومثل هذا الحادث يجعلنا نكرر مطالبتنا بأهمية تعميم الحق في التعليم النظامي وتقنين أوضاع الخلاوي، ونؤكد أن الخلاوي ليست خاضعة لأي سلطة حكومي؛ وبالتالي لا يوجد رقيب عليها مما يجعلها خارج رقابة السلطات، وهي مسألة خطيرة جداً^(٤٥).

٤٥ - رفقة عبد الله، صحيفة اليوم التالي، ٢٢ فبراير ٢٠٢٢.

الفصل الخامس

نحو خلاوي جديدة بالقرآن الكريم

نحو خلاوي جديدة بالقرآن الكريم

علينا أن نعمل من أجل تغيير واقع أطفال الخلاوي لتكون جديدة بكتاب الله - عز وجل - وتليق بجلاله وعظمته وتعاليمه، من ضمن الإشكاليات في الخلاوي، ظهرت لنا إشكالية بيئة الخلاوي وانتشار الأمراض الناتجة من عدم النظافة!! قيمة النظافة من أهم القيم الإسلامية، والإسلام ينظر إليها على أنها جزء لا يتجزأ من الإيمان؛ الأمر الذي جعلها تحظى باهتمام بالغ في الشريعة الإسلامية. نجد عدم الاهتمام بالنظافة في الخلاوي بينما الإسلام يهتم بالنظافة، ونلاحظ في التقارير كيف أن الأمراض مثل القوب والجرب ومختلف الأمراض الناتجة من عدم النظافة والروائح الكريهة التي تزكم الأنوف نتيجة لبيئتها.. رأينا كيف أن وزارة الصحة أقامت عيادة طارئة في خلاوي بشرق النيل، بسبب أنها كانت البؤرة التي انتشرت منها الاسهالات المائية أصيب بها (١٥٥) طفلاً بإسهالات مائية. رأينا كيف يعاني هؤلاء الأطفال من الحصول على ماء للاستحمام.

نجد الإسلام دين النظافة بأشمل معانيها. الإسلام يهتم اهتماماً كبيراً بالنظافة، ويأمر المسلم أن يكون نظيف المظهر نظيف الجسم والثياب نظيف المأكّل والمشرب نظيف المسكن. ومن أهم مظاهر النظافة الوضوء

الذي يلزم بالنظافة في كل يوم خمس مرات، ومن اهتمام الإسلام أيضاً بالنظافة السواك فيقول عليه الصلاة والسلام: "لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء".

للنظافة في الإسلام قيمة عظيمة، وجعلها نصف الإيمان، ففي الحديث النبوي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم"، ويبين هذا الحديث النبوي أن النظافة ليست محدودة بالنطاق البشري، بل يصل الأمر إلى الحد الذي يوصف فيه الله تعالى ذاته بأنه نظيف، وأنه يحب النظافة، ولا يتوقف الحديث عند هذا الحد، بل يتبع ذلك بأن يأمر المسلمين بالاهتمام بتنظيف أفئدتهم، وإذا كانت نظافة أفئدة البيوت تشغل كل هذا الحيز من اهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم -، فما بالنا بالخلاوي؟

قال الله تعالى في كتابه الكريم: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" قارناً بين التوابين والمتطهرين. وقد امتدح الله - عز وجل - أهل قباء، وجعل حرصهم على النظافة والطهارة سبباً في حبه تعالى لهم، حيث قال: "فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين". إن النظافة تراق الإنسان في الإسلام إلى أن يموت فيغسل، وبالمثل يغتسل الشخص الذي غسله.

حرص الإسلام أيضاً على أن يكون المسلم نظيف البدن والثوب، حسن الهيئة، لقوله - صلى الله عليه وسلم - لما رأى رجلاً أشعث الرأس فقال: "أما يجد هذا ما يسكن به شعره" ورأى آخر عليه ثياب وسخة فقال: "أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه". روي عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً أشعث الرأس فقال: "أما يجد هذا ما يسكن

به شعرة، ورأى آخر عليه ثياب وسخة فقال: "أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه".

وختم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذلك بقوله: "النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة"، فالنظافة تؤدي إلى دخول الجنة. وهناك حديث آخر يقول: "النظافة من الإيمان"، وهو ما يدلنا على الدرجة الرفيعة التي تحتلها قيمة النظافة في الدين الإسلامي. اهتم الإسلام بالنظافة، ودعا الناس إلى الالتزام بالطهارة، وإزالة الأقدار، والعناية بكل مكان ينزل به الإنسان، وهو كان من أوائل ما نزل من القرآن، (وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [المدثر: ٤].

رُوي عن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الإسلام نظيف فتنظفوا؛ فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف" وحث على نظافة الثياب والشعر، روى الطبراني وأبو نعيم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من كرامة المؤمن على الله تعالى نقاء ثوبه، ورضاه باليسير". وحث على نظافة المسجد، المسجد بيت الله تعالى جدير بكل رعاية واهتمام، منه يصعد الكلم الطيب، ويرتفع ذكر الله تعالى فيتردد صده بين جوانح المؤمنين.

انتشرت الكتاتيب على نطاق واسع في مصر وكان يصرف للطالب فيها خمسة وخمسون درهماً نقرة كل شهر ورطلان ونصف زيت طيب كل شهر ورطلان من الصابون كل شهر. كانت توجيهات المربيين في ذلك العصر للمعلمين بضرورة الاهتمام بنظافة الكتاب والأدوات المستخدمة فيه منعاً للتلوث المسبب للأمراض، فاشتروا أن يكون لمسح الألواح موضع طاهر مَصُون نظيف، وأن يمنع المعلم الصبيان مما اعتاده بعضهم من أنهم

يمسحون الألواح أو بعضها ببصاقهم وذلك لا يجوز لأن البصاق مستقذر، كما قدموا العديد من التوجيهات التي تتعلق بنظافة الثوب واليدين أثناء الكتابة ونظافة وصيانة الكتب وغيرها؛ وكذلك نظافة الأمكنة التي يقضى بها التلاميذ حاجتهم ونظافة وطهارة الماء الذى يشربون منه. وكذلك من مسئولية المعلم تجاه تلاميذه تقديم العون لهم فيما يتعلق بحل مشكلاتهم الصحية وإرشادهم إلى ما يصلح لهم من الغذاء من حيث نوعه وكميته، وإلى أهمية الرياضة البدنية لحفظ الصحة وتحقيق تعلم جيد^(٤٦). وهكذا يظهر الاهتمام بالنظافة وتعليم الأطفال ذلك.

اجتهد الفقهاء في أماكن الكتاتيب مراعاةً لمصلحة الأطفال، ذكر ابن الحاج العبدري^(٤٧) أنه "ينبغي أن يكون موضع الكتاب بالسوق غن أمكن ذلك، فإن تعذر ذلك فعلى شوارع المسلمين أو في الدكاكين ويكره أن يكون بموضع ليس بمسلوك للناس. لا ينبغي أن يكون في موضع يخفى عن أعين المارين في الطريق؛ إذ في ذلك من المفسد ما لا يخفى. ينبغي إذا خرج أحد الصبيان لقضاء حاجته، فلا يترك غيره يخرج حتى يأتي الأول. انصراف الصبي واستراحتهم يومين في الجمعة وانصرافهم قبل العيد بيومين أو ثلاثة وكذلك بعده مستحب، لقوله عليه الصلاة والسلام: (رُوِّحُوا عَنْ قُلُوبِكُمْ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ)، فإذا استراحوا يومين في الجمعة نشطوا لباقيها. ينبغي

٤٦- جمال علي الدهشان، الخدمات الطلابية في زمن الأيوبيين والمماليك، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، المجلد الأول، جامعة حلوان، يونيو ١٩٩٥.

٤٧- أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المعروف بابن الحاج، من أهل فاس، أحد أعلام السنة الراسخين، كان عالماً وقاضياً وفقهياً بالذهب المالكي، من أبرز آثاره كتاب المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثّة والعوائد المنتحلة. يقع الكتاب في أربعة مجلدات. وقال ابن حجر في كتاب المدخل: "كثير الفوائد كشف فيه معانيب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها"، وله أيضاً كتاب شمس الأثوار، وغير ذلك. (الموسوعة الحرة).

إذا اشتكى أحد من الصبيان بوجع عينيه، أو شيء من بدنه، وعُلم صدقه أن يصرفه المعلم إلى بيته". هذا يدل على اهتمام الفقهاء المُريين بصحة الصبيان في الكُتاب، فنصحوا بعزل الصبي المريض عن رفاقه؛ خوفاً من انتشار عدوى المرض بين الأطفال، وكما طلب إلى معلم الصبيان منعهم من أكل الطعام والحلوى المكشوفة والمعروضة من قبل الباعة المتجولين "فلا يدع المعلم أحداً من البياعين يقف على المكتب ليبيع للصبيان؛ إذ فيه المفساد إن اشترى منه"^(٤٨).

من أكبر إشكاليات الخلاوي أسلوب الشيوخ الذي يقوم على العنف المفرط والغلظة والقيود بالسلاسل كما وضح لنا في الفصل السابق. نجد بكل وضوح وأمام مؤسسات الدولة والمجتمع، ممارسة العنف بمختلف أنواعه داخل الخلاوي.. القيود والسلاسل والجنائزير بأنواعها المختلفة (قيود فردي.. قيد زوجي... إلخ) وغير ذلك من أنواع تعذيب الأطفال.. بينما الإسلام أساسه الرحمة وخاصة مع أطفال رُفِع عنهم القلم، بل جعل الإسلام الرحمة بالحيوان من العبادات التي تصل بالعبد إلى أعلى الأجر والثواب، وجعل من حقوقه الرفق به وحقه في الحياة والغذاء، وجعل انتهاك حقوقه، تُدخل النار والعياذ بالله، كما وضح عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أن امرأة دخلت النار بسبب تعذيبها لقطة!! وأن رجلاً دخل الجنة بسبب رفقته ورحمته بكلب عطشان بأن سقاه ماء.

إن دور الخلاوي متمحور حول القرآن الكريم، ويقول ابن الحاج العبدري إن كتاب الله - عز وجل - هو ينبوع كل علم نافع وإذا كان ذلك كذلك، فينبغي أن يكون حامله أكثر الناس تعظيماً لشعائره والمشبي على سَنَن

٤٨- ابن الحاج العبدري، المدخل، الجزء الثاني، المطبعة العامة الشرفية، القاهرة، ١٩٠٣.

من تقدمه في تعظيمه وإكرامه^(٤٩). يحض القرآن الكريم على الرحمة كما كان قدوتنا المصطفى عليه الصلاة والسلام. لم أجد أصلاً في الإسلام في العنف المفرط في تعليم كتاب الله والتقديد بالجنائز والسلاسل من أجل ذلك، وهذا يجعلنا نسأل أنفسنا من أين جاء هذا النمط من العنف المفرط والعذاب والسلوك الوحشي والقاسي كأسلوب للتعامل مع الأطفال في تعليم كتاب الله (مثل التقديد بالسلاسل وغيره).. أسلوب لا يعرف الرحمة أبداً ويُستخدم في تعليم ماذا! في تعليم كتاب الله!! لننظر ماذا يقول كتاب الله الكريم ورسوله الحليم. نقرأ يوماً في كل الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم، ولا نتدبر ذلك! قوله تعالى: الرحمن الرحيم، فقد سمى الله نفسه بهذين الاسمين المشتملين على صفة الرَّحْمَةِ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة). لقد ورد ذكر لفظ (الرحمة) في القرآن الكريم بمشتقاتها (٣١٥) مرة. وهذا دليل على أن الأصل في الإسلام الرحمة، لا العنف والشدة، ولفظ (رَحِمَ) يدل على الرقة والعطف والرأفة. نجد مثلاً قوله تعالى: (كَتَبَ رِزْقُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام: ٥٤)، (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (الأعراف: ١٥٦)، (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ) (الأنعام: ١٣٣).

بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ مِنْ مَظَاهِرِ فَضْلِهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيَكُونَ رَحْمَةً لَهُمْ بِقَوْلِهِ: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبيا: ١٠٧). تُعَدُّ الرَّحْمَةُ وَلِيْنِ الْجَانِبِ وَرَقَّةُ الْقَلْبِ مِنْ أَهْمِ صِفَاتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (سورة آل عمران: ١٥٩)، وذلك

٤٩- المرجع السابق نفسه.

فضلٌ من الله أن بعث للناس رسولاً رحيماً بهم، لِيُنَّا معهم؛ لذلك وصفه الله - تعالى - بقوله: (حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (سورة التوبة: ١٢٨)؛ أي كثير الرحمة بهم. وقال تعالى لموسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيُنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (سورة طه: ٤٤).

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه" (رواه مسلم)، وأيضاً عنها أنه قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" (رواه مسلم).

قال ابن بطال^(٥٠): "في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم، كافرهم، ومؤمنهم، ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب، ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفي كل حيوان". لقد أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نحسن معاملة الأطفال وأن نرفق بهم. فقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يضرب طفلاً في حياته قط. فهذا هو سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - يخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنوات والعجيب أن النبي وخلال كل هذه المدة، لم يويخه ولو مرة واحدة! ولم يقل له: لماذا فعلت كذا، أو لماذا لم تفعل كذا، بل كان يعلمه ويرفق به. كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رحيماً بالأطفال ويتلطف بهم ويمازحهم. روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - العديد من الأحاديث التي توضح ذلك، منها:

٥٠- أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، عالم بالحديث النبوي، ومن كبار علماء المالكية. ألف ابن بطال كتاب شرح صحيح البخاري (الموسوعة الحرة).

قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيان)،
وكما قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفكاه الناس مع صبي.
وكان صلى الله عليه وسلم حين يقدم من السفر يلتقاه الصبيان فيقف
عليهم، ثم يأمر بهم فيرفعون إليه، فيرفع منهم بين يديه، ومن خلفه، ويأمر
أصحابه أن يحملوا بعضهم)، قال أنس أيضاً إن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - مر على صبيان فسلم عليهم، وقال أنس: كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة (وهو
طفل) فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى
الله عليه وسلم. قال: فخرجت حتى مررت بصبيان وهم يلعبون في السوق،
فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قابض بقفائي من ورائي، فنظرت إليه
وهو يضحك، فقال: (يا أنيس، اذهب حيث أمرتك) وعن أنس أيضاً قال: كان
ابن لأم سليم يُقال له: أبوعمير، كان النبي صلى الله عليه وسلم يمازحه إذا
جاء، فدخل يوماً يمازحه، فوجده حزينا، فقال: «ما لي أرى أبا عمير حزينا؟»
فقالوا: يا رسول الله، مات نغره (النغر: فرخ العصفور) الذي كان يلعب به،
فجعل يناديه صلى الله عليه وسلم: (يا أباعمير! ما فعل النغير؟). عن
عائشة رضي الله عنها قالت: "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال: أتقبلون صبيانكم؟! فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
(أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)". كل هذه النصوص وغيرها تدل
دلالة صريحة على أن الإسلام رحمة من الله لبني آدم، فإذا كان رب الناس
يعامل عباده بمقتضى هذه الرحمة التي وسعت كل شيء، فأحرى أن يتخلق
عباده بأخلاقه، وتظهر عليهم آثار هذه الأخلاق، لا سيما في الميدان التربوي.
إن استعمال الرحمة في التربية يجعل من تلك الأخلاق الكريمة سمة بارزة

لهذه التربية، وحينما يلتزم المعلم بالرحمة والرفق واللين، فيكون قد امتثل للمُرَبِّي الأول المصطفى عليه الصلاة والسلام.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجودَ أبشُ؛ أي بشوش مبتسم. وجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الابتسامة صدقة يُثاب عليها الإنسان، إذ قال عليه الصلاة والسلام: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ)، وقال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ) (صحيح مسلم). عن أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ» (رواه الترمذي)، كما قال عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (رواه الترمذي)، وقال الإمام ابن بطال: "فيه أَنَّ لِقَاءَ النَّاسِ بِالتَّبَسُّمِ، وَطَلَاقَةَ الْوَجْهِ، مِنْ أَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ مَنْافٍ لِلتَّكْبُرِ، وَجَالِبٌ لِلْمَوَدَّةِ". وقد فصل الإمام البخاري في (صحيحه) بابًا حول التبسم والضحك وجمع أحاديث كثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك؛ وكذلك الإمام مسلم في صحيحه. وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: "علموا وأرفقوا ويسرّوا ولا تعسرّوا، ويسرّوا ولا تنفّرّوا". نجد في حديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (قال رسول الله عليه الصلاة والسلام "ألا أخبركم بمن يحرم عليه، على كل قريب، هين، سهل" (رواه الترمذي). وجاء في مكارم الأخلاق للخرائطي أنه، كان ابن عمر يقول: بُني، إن البرَّ شيءٌ هينٌ وجه طليق وكلام لين. عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي، وعليّ قميص أصفر، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «سنه سنه». (وهي بالحبشية: حسنة). قالت: فذهبت أَلْعِبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فزيرني أبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعها». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبلي وأخلقى، ثم أبلي وأخلقى، ثم أبلي وأخلقى». (البخاري). زيرني: (نهرني) أبلي (والمراد الدعاء بطول البقاء للمخاطبة بذلك؛ أي تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق. وأخلقى دعاء يطول العمر حتى تبلى الثوب وغيره مرات).

في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّمَا بَعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) (البخاري). في هذا الحديث، تحدث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن أَنَّ الغاية والمقصد من بعثته هو مكارم الأخلاق، أَنَّ أهم شيء جاء به هو حُسن الخلق. ذلك لأن حُسن الخلق هو ما يراه الإنسان من أخيه، فالتناس لا يرون عقيدة الشخص؛ لأن محلها القلب، لكنهم يرون أخلاقه. ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تدعو إلى حُسن الخلق منها، قول عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ الصَّائِمِ" (صحيح الجامع) في هذا الحديث الشريف يرشدنا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى حُسن الخلق في التعامل مع الناس وطلاقة الوجه لهم، قد يدرك منزلة الرجل الصائم بالنهار القائم مُتَهَجِّدٌ بِاللَّيْلِ. عن جابر بن عبد الله أَنَّ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"، قول أبو الدرداء أَنَّ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ" (الجامع الصغير) في هذا الحديث يؤكد لنا أَنَّ الأعمال عندما توزن يوم القيامة لا يكون هناك من الحسنات أَثْقَلُ عَلَى الْمِيزَانِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ.

لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أرحم الناس بالأطفال، فكان لا يصبر على بكاء طفل ولا على ألمه.. يروي أبو قتادة الأنصاري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي وهو حامل أمّامة وقال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ النَّاسِ وَأُمَامَةَ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ وَهِيَ ابْنَةُ زَيْنَبِ بِنْتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى عَاتِقِهِ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ السُّجُودِ أَعَادَهَا» (متفق عليه). بين الحديث الشريف أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي بالناس وهو حامل أمّامة بنت العاص بنت ابنته زينب - رضي الله عنهما - حتى إنه حال ركوعه وسجوده يضعها فإذا قام حملها وهكذا، ويدل ذلك على أنه لا حرج في حمل الأطفال حال الصلاة.

وهكذا كان المربي والمعلم وقدوتنا عليه الصلاة والسلام رحيماً بالأطفال لا يعرف العنف والقسوة؛ بل هو نموذج في الرأفة، والرحمة، والحنان، ولا سيما على الأطفال. بل إن رحمته كانت تجعله يطيل الصلاة لأن هناك طفلاً على ظهره، حتى خشى الصحابة - رضوان الله عليهم - أن يكون قد أصابه مكروه، وقال لهم (ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته). ومن نماذج وصور رحمة النبي بالأطفال أنه فاضت عيناه بالدموع عند وفاة ابنه إبراهيم؛ وكذلك عند وفاة ابن ابنته فاضت عيناه صلى الله عليه وسلم، فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: «إنها رحمةٌ جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» (متفق عليه).

لنا في الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، فقال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١)، وكيفينا ما قاله رب العزة عنه في محكم التنزيل:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلَم: ٤)، وبتشريف الله تعالى له وتكريمه بأن أقسم الله بحياة النبي في قوله: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الحجر: ٧٢).

بالرغم من كل ك ذلك، فإن مدح الرسول الأكرم ومحبته وتفضيله وتمجيده أمر تهفواليه النفوس، فمحبته من أصول الايمان وفي حديث أنس بن مالك يقول الرسول عليه السلام: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين) (صحيح البخاري). إن محبته مقرونة بمحبة الله وتوعد الله من قدم الله عليها شيئاً، فقال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) [التوبة: ٢٤].

يقول الشيخ الصرصري، ذو المحبة العالية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي بلغت قصائده فيه قرابة عشرين مجلداً:

أما الله أعطاه جوامع الكلم كلها وأدبه سبحانه أحسن الأدب
أما كان أوفى الناس حلماً وعفة وحسن ثبات لا يزلزله غضب
أما كان في نصح وطف ورحمة لأُمَّته كالوالد المشفق الحذب
وكما يقول في أبيات أخرى:

قفًا بحمي سلع فساكنه الذي من الحادث المهروب أصبَح مُنقذي
حبيب إذا ما جاد منه بنظرة نعمت برؤياه وطال تلذذي
وإن غاب عن عيني أنكرت عيشتي وضاق على الرَّحْب من كل منفذ
وكيف اصطبار القلب عن وجه سيد جميل بآيات الكتاب معوذ
أبي القاسم المختار أفضل مرسل وأزكى أمين للأوامر منفذ
هو الرحمة المهداة والنعمة التي بها حبر الرحمن كل موقذ

كما نجد قصيدة البردة أو الكواكب الدرية في مدح خير البرية لمحمد بن سعيد البوصيري، إحد أشهر القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

مولاي صلِّ وسلِّم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم
أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقله بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت أكففا همتاً وما لقلبك إن قلت استنقق بهم
أحسب الصب أن الحب منكتهم ما بين منسجم منه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل ولا أرقت لذكر البان والعلم
هنالك العديد من الأدباء والشعراء الذين مدحوا نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

اهتم عدد كبير من العلماء المسلمين بأمر التعليم وأسلوبه وطرائقه والتعامل مع الأطفال. ركزوا على الرحمة واللين وعدم استخدام العنف. يرفض ابن خلدون الاعتماد على الضرب والقهر كوسيلة لتربية الأطفال؛ لأن ذلك يتسبب في إفساد خلق الطفل وطبعه الإنساني حيث ذكر أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم، ويقول: "إن من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين، سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره؛ خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمنن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه أو منزله، وصار عالة على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت

عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين" (٥١)، كما
وضح أيضًا الآثار السلبية على المتعلم بقوله، "فتجد طالب العلم منهم بعد
ذهاب كثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكتًا لا ينطقون ولا
يُفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من
ملَكَة التصرُّف في العلم والتعليم". لا يختلف ما أقره ابن خلدون عمَّا جاء
في مواثيق حقوق الطفل والتشريعات التي ذكرناها، التي تنادي بحماية
الطفل من القهر والعنف بأشكاله كافة.

أظهرت التقارير الرسمية، إشكاليات كبيرة وجرائم ضد الأطفال، قام
بها عدد من الشيوخ وهنا لا يجوز التعميم. بعض الشيوخ يعتقدون أنهم
أصحاب مراتب عليا في حفظ القرآن وينخدع الناس بهم، وينطبق عليهم
قول الإمام الغزالي في كتابه ميزان العمل، (كم من إنسان يظن أنه بلغ
هذه الرتبة، وهو في الحقيقة شيطان مريد، فإنه يتبع أغراضه ولكن يتعلل
لأغراضه أنها من الدين). يُظهر لنا واقع الخلوي، عدم وجود أي معايير
في اختيار الشيوخ. وهذا يتنافى مع ما اجتهد فيه فقهاء المسلمين، حيث
وضعوا معايير يجب توافرها في المعلم أو الشيخ.

قال أبو الأسود الدؤالي: (ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني وهو
أول من وضع علم النحو وشكّل المصحف):

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَا كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
وَتَرَكَ تَصْلِحَ بِالرِّشَادِ عُقُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ
فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَن غَيِّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

٥١- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠١.

فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيَهْتَدِي بِالقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
لقد وضعوا شروطاً محددة لمعلم الكتاب الذي يتولى تعليم صبيانهم،
واشترطوا لهذا المعلم أن يكون من أهل الصلاح والعفة والأمانة، حافظاً
للكتاب العزيز، حسن الخط، ويدري الحساب، والأولى أن يكون متزوجاً، ولا
يفسح لعازب أن يفتح مكتباً إلا أن يكون شيخاً كبيراً، وقد اشتهر بالدين
والخير، ومع ذلك فلا يؤذن للتعليم إلا بتزكية مرضية وثبوت أهلية. لقد
أنيطت مهمة الإشراف والمراقبة على معلم الكتاب بالاحتساب، الذي له الحق
أن يمنع من لم تتوافر فيه الشروط اللازمة من ممارسة المهنة^(٥٢).

يرى الغزالي أن من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً
جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه، وفصل الغزالي في وظائف وآداب المشتغلين
بالتعليم لخطر مهمتهم، وذكر تلك الوظائف^(٥٣)، وهي:

– الوظيفة الأولى: الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه.
قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "إنما أنا لكم مثل الوالد
لولده".

– الوظيفة الثانية: أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه
وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاءً ولا شكراً،
بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم،
وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم.

٥٢ – محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق د. محمد محمود
شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦.

٥٣ – الغزالي، إحياء علوم الدين، طبعة دار الحديث القاهرة، سنة ١٩٩٨.

الوظيفة الثالثة: استدامة النصح بتجنب المباهاة غاية من التعلم، ويشير إلى ذلك بقوله عن المدرس: "أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة، وقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده".

- الوظيفة الرابعة: تجنب التصريح بالعتاب والتوبيخ ونهج الإشارة والتلميح، ويعد ذلك من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار".

- الوظيفة الخامسة: تحبيب العلوم للمتعلم بمختلف صنوفها دون تنفير من أحدها كما يحدث في كثير من الأحيان، لما تتحكم النزعات والصراعات الشخصية بين المدرسين فينصرف ذلك للمواد، ويشير إلى ذلك بقوله: "أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره، وإن كان متكفلاً بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة".

- الوظيفة السادسة: مراعاة مدارك المخاطب ومستوى فهمه واستيعابه، وتلك مسألة غاية في الأهمية، وعبر عن ذلك المؤلف

بضرورة "أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه اقتداءً في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (نحن معاشر الأنبياء أمِرنَا أَنْ نُنزلَ الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم)".

- الوظيفة السابعة: مراعاة التدرُّج في تقديم المعارف وفق منهجية منظمة، يقول الغزالي في ذلك: "إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه؛ فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوُّش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق، فما من أحد إلا وهو راضٍ عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله".

- الوظيفة الثامنة: ملازمة العمل للعلم، فهما وجهان لعملة واحدة، وذلك بأن "يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله؛ لأن العلم يُدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فإنه سُمُّ مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون لولا أنه أطيّب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به".
أما القابسي (أبو الحسن على بن محمد خلف المعافري)، فيرى أن يترفق المعلم مع الأطفال تمشيماً مع روح الإسلام التي تتسم بالرحمة والعفو، وينزل المعلم من الصبي منزلة الوالد، وطالبه بأن يكون رفيقاً به، كما نهى القابسي عن العقاب في حالة الغضب حتى لا يكون ضرب أولاد المسلمين

لراحة نفسه. اشترط القابسي في المعلم معرفة القرآن والنحو والشعر وأيام العرب إلى جانب شخصيته الدينية وسمعته الطيبة، وطالب المعلم بعدم طلب الهدايا منهم أو إرسال تلاميذهم في قضاء حوائجهم والحصول على طعام باسمهم في مناسبات الأفراح أو إحضار الطعام والحطب من بيوتهم. يجب على المعلم أن ينظر إلى براءة الأطفال وكما يقول الإمام الغزالي عن قلب الطفل: (وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نُقش، ومائل إلى كل ما يُمال به، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه، وكل معلم له مؤدّب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والولي له). كذلك ينظر ابن مسكويه إلى نفس الطفل ويقول: (إنها صالحة للعناية لا يجب أن تهمل وتترك ومخالطة الأصدقاء الذين يفسدون بالمقارنة وبالمخالطة. وإن كانت بهذا الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة فإن نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة، فإذا نُقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها فالأولى بمثل هذه النفس أن تُنبه أبدأً على حب الكرامة^(٥٤)). لم يهتم علماء المسلمين بالمعلم فحسب، بل بمن يرافق الأطفال من وإلى الكتاب وهذا يعكس مدى اهتمامه بحماية الأطفال، ولما كان الأطفال يأتون إلى الكتاب وهم صغار السن؛ لذا كان على الأهل أن يؤمنوا من يرافقهم في غدوهم ورواحهم إلى الكتاب، وأطلق على هذا المرافق اسم السائق، واشترط فيه أن يكون (أميناً ثقة متأهلاً؛ لأنه يتسلم الصبي في الغدو والرواح، وينفرد به في الأماكن الخالية، ويدخل على

٥٤- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المكتبة الحسينية المصرية، ١٣٢٩ هجرية،

النسوان، فيلتزم أن يكون كذلك^(٥٥). وتُعد مثل هذه الأمور ظاهرة اهتمام واضحة من المسلمين بسلامة أطفالهم؛ وخاصة من خلال تلك القواعد التي وضعوها، وراعوا فيها الظروف الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع، فوضعوا شروطاً وقيوداً للمحافظة على الأطفال من بعض الأمراض الاجتماعية التي قد تنتشر في مثل هذه الظروف، وقد امتد الاهتمام بالأطفال ليشمل أوقات الراحة والذهاب إلى المنزل والعودة.

نجد هذه الخلاوي، تفتقر تماماً إلى الحوار وبها حرمان للطلاب من حق المشاركة، فلا حركة، ولا نشاط فصوت الشيخ هو المسموع والمطاع. الإسلام هو دين المشاركة وقائم على التربية وفق نهج الحوار. نجد الله يعكس لنا رحمته في أن يكون أسلوب الحوار هو المنهج، والله ليس بحاجة إلى محاوره إبليس وبإمكانه أن يقضي عليه ولكنه أعطانا مثلاً للاستماع والتحاور، وهكذا يجب أن يكون الأسلوب التربوي ونُظْم التعليم، نجد الله - سبحانه وتعالى - بعظمته وجلالته يحاور إبليس:

الله تعالى: يَا إِبْلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ؟
 إبليس: لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ
 الله تعالى: أَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ
 إبليس: رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ
 الله تعالى: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ
 إبليس: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
 الْإِعْبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ

٥٥- عبدالرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦.

الله تعالى: هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ.

وذلك كما جاء في محكم التنزيل: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨٣) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)^(٥٦).

عند تأمل الآيات (٤٢-٤٣) التي تحكي قصة نوح (عليه السلام) مع ابنه يتضح الأسلوب التربوي الذي برز في عنصر الحوار بين النبي، والابن المتمرد الذي أبى أن يؤمن برسالته، ولم يدفعه تصرف ابنه إلى الخروج عن منهجية الحوار البناء في تعامله معه، بل حرص نوح - عليه السلام - على الأخذ بأسباب صلاح ابنه بالحوار والتفاهم والدعوة بالموعظة الحسنة:

سيدنا نوح عليه السلام: يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ

ابنه: سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ

٥٦- سورة الحجر (٢٨ - ٤٤).

سيدنا نوح عليه السلام: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
يقول تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ
مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ^(٥٧)).

حاور الحق سبحانه الملائكة، حين أراد أن يستخلف آدم عليه السلام

في الأرض:

الله تعالى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
الملائكة: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ؟

الله تعالى: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
الملائكة: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

يقول تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (سورة

البقرة، من الآية: ٢٩)، فهذا حوار الله العارف القاهر فوق عباده، كان جواب

الملائكة: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ (سورة البقرة، من الآية: ٢٩). رد الله عليهم بقوله: إِنِّي أَعْلَمُ مَا

لَا تَعْلَمُونَ (سورة البقرة، من الآية: ٢٩). ردوا بقولهم: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا

مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

كما يبين لنا تعالى في القرآن الكريم أن هنالك حواراً حتى بين أهل

الجنة والنار، في قوله تعالى: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ

وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا قالوا نعم فأذن مؤذِّنٌ

بينهم أَنْ لُعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [الأعراف: ٤٤].

٥٧- سورة هود (٤٢ ٤٣).

كتب فقهاء المسلمين كتباً كثيرة ومُجلدات في القيم الخلقية لاحتياجهم إلى ذلك، مثل كتاب مكارم الأخلاق للإمام الحافظ ابن أبي الدنيا والإمام الحافظ الطبراني، وكتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها والذي جمعه الخرائطي. لاحظنا من فصل واقع الخلاوي، شتم بعض الشيوخ للأطفال (أضف إلى ذلك ما وثَّقه الأستاذ الطيب محمد الطيب في كتابه المسيد، حيث ذكر أقوال بعض الشيوخ لردع الأطفال، منها يا ملعون.. يا حمار.. يا شيطان.. يا ملعون.. يا كلب.. يا ود الكلب.. يا بليد.. يا ود الحمار، وإذا كان الشيخ غضوباً شمل اللعن أب الحوار وأُمَّه!!! وهذا يتناقض تماماً مع ما جاء في كتاب الله الكريم الذي يعلمونه؛ وكذلك سُنَّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام. يقول تعالى: (ما يلفِظُ من قولٍ إلاَّ لديه رقيبٌ عتيدٌ) [سورة ق، الآية: ١٨]: أي أنه كلما تكلم الإنسان بأي شيء يتم كتابته وتسجيله، كما يقول تعالى: (وقولوا للناس حسناً)؛ أي تخيروا الألفاظ وكلموهم طيباً [الآية: ٨٣، سورة البقرة]. بل نهى الله تعالى عن شتم وسب المشركين بقوله: (ولا تسبُّوا الذين يدعون من دونِ اللهِ فيسبُّوا اللهُ عدواً بغير علم) [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

نهى الرسول عليه السلام الشتم والسب، فكيف إذا كان من مُربِّ أو شيخٍ لتعليم الأطفال كتاب الله الكريم. جاء في الحديث الشريف عن ابن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ادعُ على المشركين، قال: "إني لم أُبعث لِعَانًا، وإنما بُعثتُ رحمةً" (رواه مسلم). في حديث عبدالله بن عمرو أن أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده. وحديث ابن مسعود عن قوله عليه الصلاة والسلام أن المؤمن ليس بلعان!! بل إن الرسول عليه السلام نهى عن لعن الحيوان، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عمران بن حصين

- رضي الله عنه - قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقه، فضجرت، فلعننتها، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (خذوا ما عليها ودعوها؛ فإنها ملعونة). كما نجد العديد من الأحاديث الشريفة التي تمنع اللعن، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً) (رواه مسلم). ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) (رواه الترمذي)، وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال، قال رسول الله: (إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن، فإن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها) (رواه أبو داود). ونجد في شرح كتاب رياض الصالحين لعن المعين من آدمي أو دابة معناه: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فإذا قلت: اللهم العن فلاناً، فإنك تعني أن الله يبعده ويطرده عن رحمته والعياذ بالله^(٥٨). لهذا كان لعن المعين من كبائر الذنوب.

لا يوجد وقت للعب والترفيه لأطفال الخلاوي، رغم أن اللعب حاجة مهمة لدى الطفل في النواحي كافة وهو ليس إضاعة للوقت، إنما تعبير عن الفرد وحاجته وقدراته. يعني اللعب عند علماء المسلمين بأنه عملية تربية تهتم بالجوانب النفسية والبدنية والعقلية والترفيهية، فهو عند "ابن سينا" نشاط حر ينطلق من حاجة الطفل الجسمية والحركية والعقلية والاجتماعية واللغوية^(٥٩).

٥٨- محمد صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٥٩- احمد فؤاد الأهواني، التربية الإسلامية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧.

الأطفال هم الأطفال، اللهو وحب اللعب من طبيعتهم، والإسلام يعطي الطفولة حقها ويراعي فطرتهم الإنسانية فلا يكتبها. كان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا رأى أطفالاً يلعبون يسلم عليهم وفي ذلك تشجيع لهم، ولقد قال أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أتى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على غلمانٍ يلعبون فسلم عليهم). (رواه أبو داود). وعن السماح للأطفال بشيءٍ من اللهو واللعب ما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: (لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالْحَبْشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أَنْظِرُ إِلَى لَعِبِهِمْ) (رواه البخاري)، وكما قالت أيضاً: (دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب بالبنات (أي اللعب) فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلت: (خيل سليمان ولها أجنحة فضحك)، وكان يُركب الحسن والحسين - رضي الله عنهما - على ظهره ويمشي على يديه وركبتيه وهما يتعلقان به من الجانبين، فيمشي بهما ويقول: (نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما). وقد لعب الحبش في المسجد عند النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - بحرابهم، دَخَلَ عمر، فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها، فقال النبي صلى الله عليه وآله: (دَعَهُمْ يَا عَمْرُ)؛ (البخاري).

يُعرِّف الإمام الغزالي اللعب بأنه حاجة مهمة لدى الطفل في النواحي البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية. ربط الغزالي اللعب وصحة الطفل وسلامته الجسمية والنفسية والعقلية (إذا انصرف الصبي فليأذن له أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب الكتب، فإن منع الصبي من

اللعب فإن إرهاقه بالعلم يُميت قلبه ويعطل نكاهه) وهذا مطابق تماماً لأحدث الاتجاهات التربوية. أشار الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين إلى الاختلافات بين الأطفال وما يُعرف بالفروق الفردية في أُمجنتهم، واعتبر المعلم كالطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد لقتل أكثرهم وأُمت قلوبهم^(٦٠). وعليه، من كل هذه التعاريف نستنتج أن اللعب ليس إضاعة للوقت، وإنما هو حاجة ملازمة لعملية التعلُّم وهو يلبي مطالب الطفولة كافة.

وأما بالنسبة إلى الراحة والعُطل المدرسية، فقد اهتم علماء المسلمين بإعطاء الصبي قسطاً من الراحة بعد عناء الدراسة، فهذا ابن الحاج العبدري يقول: "إن ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام "رَوَّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً وَسَاعَةً"، فإذا استراحوا يومين في الجمعة نشطوا لباقيها وهناك تعطيل في أيام الأعياد، وحالات المرض، والرياح والعواصف والبرد والمطر الشديد.

٦٠- عبد الرزاق جدوع محمد، لعب الأطفال في فكر الإمام الغزالي، مجلة الفتح للبحوث التربوية، جامعة ديالى، العدد الثلاثون، بعقوبة، العراق، ٢٠٠٧.

الفصل السادس

الخاتمة

الخاتمة

هذا هو واقع أطفال الخلاوي، لا خير فينا إذا لم ننقله، تبجيلاً لكتاب الله - سبحانه وتعالى - وتقديراً لسُنَنِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وللوقوف أمام ما لا يستقيم مع تعاليم كتابه الكريم، لا خير فينا إذا لم نعمل على تغيير وإصلاح هذا الواقع؛ لتكون خلاوي جديدة حقاً بكتاب الله تعالى العزيز الكريم وبما أنزل فيه، وبسُنَّةِ وَبِهْدْيِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لقد جعل الله - سبحانه وتعالى - خيرية هذه الأمة، وتميزها، منوطاً بقيامها بالحق والدعوة إليه، والنشر له، والدفاع عنه، إن منهج الإسلام في بناء المسلم عقيدةً وسلوكاً لا يرمي إلى أن يجعله صالحاً في نفسه فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى أن يجعله الصالح المصلح. إنَّ الأمة المسلمة أمةٌ صالحة في نفسها مُصلحة ما حولها؛ ومن ثَمَّ كانت دعوة الإسلام رامية دائماً إلى الصلاح والإصلاح معاً^(١١). إنَّ ترتبط صفة الخيرية بالإصلاح وإظهار الحق وتمكينه، يقول تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...) (آل عمران: ١١٠) إنَّ فهي أمةٌ أُخْرِجَتْ لِمَا فِيهِ صَالِحٌ لِلنَّاسِ. ولا يتحقق الصلاح إلا بتحقيق التغيير والإصلاح. ولم يَرْضَ اللهُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ صَادِقاً فحسب، بل دعاه إلى أن يكون مع

٦١- محمود توفيق محمد، فقه تغيير المنكر، كتاب الأمة الحادي والأربعون، سلسلة كتاب الأمة، مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر.

الصادقين (يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩).
 إن تغيير الواقع المليء بالانتهاكات والممارسات والفظائع داخل هذه
 الخلاوي، والذي هو منكر تنكره النفوس السليمة وتتأذى به وقبح في غاية
 القبح، وهو مناقض لتعاليم كتاب الله لشريحة لا حول لها ولا قوة من
 الأطفال الذين قال عنهم رسول الله عليه الصلَام والسلام إنهم رُفِعَ عنهم
 القلم، - هو ظلم لا نرضاه لأطفالنا وواقع علينا تغييره وإلا عمَّنَا اللهُ بعقاب
 من عنده: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال: ٢٥).

لا نود أن نكون من الذين يرضون لأطفالهم أفضل بيئات وأساليب
 التعليم ويرضون لغيرهم هذا الواقع، بل هناك من يذهب أكثر من ذلك
 فلا يرضى ذلك الواقع لأطفاله ويدافع أن يكون واقع أطفال الخلاوي بنفس
 ما نقلناه دون تغيير! وهم يعلمون تماماً هذا الواقع. لقد ذكر الغزالي في
 تفسير قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ)، هو إنكارٌ
 عليهم من حيث تركهم المعروف، لا من حيث أمرهم، ولكن أمرهم دلَّ على
 قوة علمهم، وعقاب العالم أشد؛ لأنه لا عذر له مع قوة علمه. إذا كانوا قد
 رضوا بهذا الواقع - لماذا لا يرسلون أطفالهم إلى هذه الخلاوي!! كما قال
 تعالى: (لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ). قد نهانا رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - أن تمنعنا مخافة الناس من قول كلمة الحق كما في حديث أبي
 سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 (لَا يُحَقَّرُ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ). قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟
 قال: (يرى أمر الله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله - عزَّ وجلَّ
 - له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس،

فيقول: فإياي كنتَ أحمقُ أن تخشى). (ابن ماجة). يكفي وصف السلف عليه السلام لمن صمت عن قول الحق بالشیطان الأخرس وللناطق بالباطل شیطان ناطق. إن الصامت على ما يجب تغييره من هذا الواقع، أو كتمان عرض هذا الواقع، أو كما يفعل البعض بتحريفه، لقد ذم الله تعالي ذلك بقوله: (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [سورة النساء، الآية: ١٣٥]. وجاء في تفسير ابن كثير، تلوا تعني: تحرفوا الشهادة، واللي: التحريف وتعمد الكذب، ومعنى الإعراض هو كتمان الشهادة وتركها.

لقد كان الفاروق رضي الله عنه يقول: إني أخاف أن أخطئ فلا يرديني أحد منكم تهيئاً مني، وجاءه يوماً رجل فقال له: اتق الله يا عمر، فغضب من حوله وأرادوا أن يسكتوه عن الكلام، فقال لهم عمر: لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم^(٦٣) وهكذا كان الأمر.

تطورت العديد من نظم التعليم، عدا الخلاوي، فهي منذ تاريخها لا زالت في واقعها القائم دون تبعية أو معايير، ظهرت المدارس القرآنية والتي تقوم فكرتها على مزج نظام تعليم القرآن الكريم في مع نظام تعليم مرحلة الأساس، وأهم ما يميز المدرسة القرآنية تحفيظ القرآن الكريم كاملاً مع الالتزام بتدريس المواد المقررة في منهج التعليم العام، وغير ذلك دون أن يتغير واقع الخلاوي. على سبيل المثال، نجد أن مركز تطوير المناهج في وزارة التربية والتعليم السودانية قام بتطوير خطوات التدريس المعروفة "التمهيد والريط والموازنة والاستنباط والتطبيق"؛ لتلائم تدريس القرآن الكريم في مرحلة التعليم العام في شكل خطوات محددة، وهي: (١) التمهيد، (٢)

٦٢- ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

عرض الآيات على السبورة أو أي وسيلة حديثة، (٣) القراءة النموذجية من المعلم، (٤) قراءة التلاميذ الفردية، (٥) أسئلة لتوضيح المعاني الجديدة، (٦) شرح الآيات، (٧) استنباط ما ترشد إليه الآيات، (٨) قراءة أخيرة من التلاميذ، (٩) كتابة الإرشادات المستفادة من الآيات. يقوم المعلم باستخدام أساليب متنوعة لملاحظة الفروق الفردية بين التلاميذ وتذليل الصعوبات التي تواجه التلاميذ، ومن هذه الأساليب: (أ) أسلوب الوحدات: يقوم المعلم بتجزئة السورة القرآنية الطويلة إلى وحدات مترابطة موضوعية لا يختلف المعنى المقصود منها، وذلك لتبسيط النص وتسهيل حفظه، (ب) أسباب النزول: وهي من أساليب تحليل النص المدرس ومعرفة أسباب النزول تجعل الطالب متفهماً لدلالة الآيات، وتساعد على فهم النص، وهو من أهم عوامل إتقان الحفظ، (ج) القصة: وللقصة أثر فعّال في فهم مغزى الآيات القرآنية، ومن أنجح أساليب التدريس التي تقود إلى تعليم إيجابي. أما بالنسبة إلى تعليم الأساس، فنجد أهدافاً لتعليم القرآن، تتمثل في: (١) إشعار التلاميذ بمكانة القرآن الكريم وترغيبهم في قراءته مع الإحساس باحترامه وأنه كلام الله سبحانه وتعالى، (٢) إتقان تلاوة القرآن الكريم مع التدريب على حسن ترتيله، (٣) تدريب التلاميذ على فهم القرآن الكريم وتدبره والعمل به، (٤) تذوق القرآن والإحساس بالإعجاز البياني فيه في الصفوف المتقدمة، (٥) تعليم التلاميذ أسباب النزول والقصص الواردة فيه، (٦) تقويم ألسنة الطلاب وتدريبهم على القراءة الصحيحة، (٧) ربط القرآن بالحياة^(٦٣).

الجدير بالذكر أنه حتى الاستراتيجية القومية الشاملة للتعليم ١٩٩٢-

٦٣- سليمان عثمان، مجلة جامعة القرآن الكريم، نظم تعليم القرآن الكريم في السودان، العدد التاسع، ٢٠٠٤.

٢٠٠٢، والتي فصلت في كل أنواع التعليم وغيرت هيكله وقامت بتجريب وتطبيق كل النظريات التي تريدها، فإنها عندما جاء أمر الخلاوي، اكتفت بذكر أمر التوسع في الخلاوي!

نجد في العديد من الدول الإسلامية شروطاً محددة وواضحة لمن يريد أن يفتح كتاباً لتعليم الأطفال القرآن، في مصر على سبيل المثال، تنظم وزارة الأوقاف شؤون مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، فاشتترطت لعمل هذه المكاتب أن يكون المكتب تابعاً للأزهر الشريف أو وزارة الأوقاف، وأن يكون المحفظ مُعتمداً من الأزهر الشريف أو وزارة الأوقاف وأن يكون المقر مناسباً وعدد الطلاب محدداً، وهذا بجانب الحصول على التصديق أو الرخصة من وزارة الأوقاف بعد استيفاء المعايير. وفي المغرب مثلاً نجد الشروط نفسها بجانب شرط أساسي وهو سجل عدلي نظيف وخالٍ من السوابق القضائية، وشهادة طبية صحية تثبت سلامته الصحية وهكذا في معظم الدول العربية والإسلامية عدا السودان، حيث لا توجد معايير للمكان ولا للشيخ أيضاً وكما وضح لنا من الفصول السابقة.

يتضح لنا مما سبق، أن أكبر التحديات والإشكاليات غياب التبعية الإدارية والفنية الواضحة، وعدم وجود معايير قائمة على حقوق وحماية الأطفال. هذا بجانب نظرتنا القائمة على التمييز، فنحن عندما يتعلق الأمر بالمدارس حيث أطفالنا نطالب بحل إشكالية مرحلة الأساس والتي بها أطفال في مرحلة طفولة مبكرة ومرحلة مراهقة في حوش واحد، رغم أن ذلك لساعات محددة ولا نطالب بنفس القدر لما يحدث في الخلاوي حيث يبيتون ويسكنون معاً، مع العلم بأن بعضهم أعمارهم كبيرة فنحن في نظام لا يعرف أي معايير للإنشاء أو التأسيس، فالخلاوي وإدارتها

بعيدة عن الإشراف والرقابة الرسمية، بيئة تفتقر لأبسط قواعد الصحة والسلامة والنظافة تنردى فيها البيئة الصحية وانتشار الأمراض، لا تعرف الاهتمام بالتغذية، الاعتماد الكامل على الصدقات والهبات، استغلال فقر الأطفال وأسرهم وبُعد أماكنهم، استغلال قناعة بعض القبائل بأن تعليم الخلاوي هو النموذج الأفضل وأن ما عداه هو فاسد، استغلال توفير المأوى والمأكل للطلاب، تشجيع الطلاب على التسوُّل، غرس قيم الخنوع والقهر داخل نفوس الطلاب باستخدام أبشع أنواع العقاب والحبس الانفرادي، وهذا بجانب عدم دمجها في نظام التعليم.

كما هو واضح، هناك تهميش وغياب كامل لحملة المسؤولية تجاه الخلاوي وأطفالها، فوزارة التربية والتعليم، لها إدارات متخصصة لكل مرحلة وفق معايير ونظم وضوابط وتفتيش ومراقبة ومحاسبة، عدا الخلاوي التي تتبعيتها لإدارة لا حول لها ولا قوة أسمتها إدارة التعليم القرآني، إدارة لا تعرف عدد الخلاوي أو مواقعها أو بيئتها أو عدد شيوخها ومؤهلاتهم ولا صلة لها بشروط إنشاء الخلاوي، والتفتيش والمراقبة والمحاسبة، حيث لا توجد معايير ونظم لإنشاء الخلاوي أو زيارات ميدانية لمعرفة موقع الخلاوي ومدى ملاءمتها لتعليم الأطفال كتاب الله الكريم، وهذا يعكس مدى تقصير الدولة تجاه أطفال الخلاوي. على سبيل المثال، نجد إدارة التعليم قبل المدرسي، لديها شروط لمنح موافقة (تصديق) لإنشاء رياض الأطفال، منها زيارة الموقع لمعرفة مدى مطابقته للشروط التي وضعتها، تقديم نسخ موثقة من شهادات من يقوم بتعليم الأطفال وتشتراط الحصول على دورات تدريبية معينة تقدمها الإدارة قبل ممارسة أي شخص للتعليم، وهذا بجانب شرط اجتياز هذه الدورات بنجاح. وهناك شرط بأن يكون الشخص مقدم أو

مقدمة الطلب سودانياً، لم يسبق أن تمت إدانته في جريمة مُخلّة بالشرف والأمانة، وتكون هنالك زيارات منتظمة من قِبَل الموجهين ومدير إدارة التعليم قبل المرحلي وهكذا كل المراحل. نجد وزارة التربية والتعليم لا تمنح موافقة أو تصديقاً لإنشاء مدرسة إلا بعد استيفاء شروط واضحة، حيث ينص قانون تنظيم التعليم العام في المادة (٢/٥) على تهيئة البيئة المدرسية السليمة منهجاً وإدارة ومباني، كما تنص المادة السادسة من لائحة التعليم الخاص لسنة ٢٠١٢ على أن التصديق للمدرسة الخاصة يكون على ثلاث مراحل للتصديق للمدرسة: (تصديق مبدئي، ٢- تصديق بالقبول وبدء الدراسة، ٣- تصديق نهائي)، وتنص المادة (١٤) على أن تكتمل التجهيزات التربوية التي تحددها الإدارة؛ وعلى وجه الخصوص الآتي: المباني والأثاث حسب المواصفات التربوية وتوفير البيئة المناسبة لبدء الدراسة، وأن يصدر خطاب من الإدارة بالموافقة على بدء القبول والدراسة بناء على تقرير الزيارة الميدانية. هنالك ديوان الزكاة الذي لا يهمله ما يحدث في هذه الخلاوي ولا تبعيتها، إنما فقط يوزع الأموال الضخمة وغيرها على هذه الخلاوي ويهتم كثيراً بعدد الأطفال؛ كلما زاد عدد الأطفال، زاد التمويل، مما تسبب في حرص بعض الشيوخ على جلب أكبر عدد من الأطفال دون أي اكتراث لسعة المكان أو بيئته، وكان يمكن أن يلعب دوراً كبيراً إذا ربط دعم الزكاة بمعايير وأسس وتبعية واضحة لهذه الخلاوي (قدم ديوان الزكاة دعماً إلى الخلاوي قيمته ٩ مليارات في ٢٠١٢ وتضاعف إلى ٣٩ ملياراً في ٢٠١٦)، حسب تقرير المجلس القومي للطفولة.

نسبةً إلى عدم وجود تبعية للخلاوي، يحرم أطفال الخلاوي من جميع الخدمات الرسمية للوزارات والجهات الحكومية، على سبيل المثال، هنالك

عدة إدارات ووحدات بوزارة التربية والتعليم ووزارة الصحة مثل وحدة الإرشاد النفسي والسلامة بالمؤسسات التعليمية، التي صدرت حسب القرار الوزاري رقم (٣٣) لسنة ٢٠١٤، ويتبع لهذه الوحدة جميع المرشدين النفسانيين والاختصاصيين الاجتماعيين بالمدارس وتقوم الوحدة بالإشراف عليهم. وتختص بدراسة ومعالجة الظواهر والمشكلات الاجتماعية والنفسية وتوفير الأمن والسلامة للتلاميذ والطلاب والمعلمين والعاملين بمؤسسات التعليم العام، والعمل على أن تكون بيئة المدارس بيئة مناسبة ومضمونة للأمن والسلامة. والجدير بالذكر أنه في عام ٢٠٠٦ تم إدخال الخدمة الاجتماعية المدرسية رسمياً بمدارس ولاية الخرطوم (٣٠) مدرسة بتعليم مرحلة الأساس. ثم في عام ٢٠١٦ تم إدخال الخدمة الاجتماعية المدرسية بالمرحلة الثانوية (٥٤٨) مدرسة أساس و (٢٦٨) ثانوي. توجد إدارة الصحة المدرسية بوزارة التربية والتعليم، ومن مهامها إعداد خطط وبرامج الصحة المدرسية والإشراف على أنشطة الصحة المدرسية والاهتمام بمكونات البيئة المدرسية وإنشاء وتطوير الوحدات العلاجية بالمؤسسات التعليمية. وهناك أيضاً قسم الصحة المدرسية بوزارة الصحة، ومن مهامه الكشف الطبي الدوري والإشراف على كروت الكشف الطبي وتطعيم التلاميذ ودفتر الحالات المحوِّلة ومتابعة برنامج التأمين الصحي بالمدارس ومتابعة أنشطة التنقيف الصحي بالمدارس وصحة البيئة. أحياناً، يتم تحريك حملات صحية لبعض الخلوي في بعض المواسم، على سبيل المثال، إبان انتشار الإسهالات المائية، تم تضمين عدد من الخلوي في الخدمات الصحية حيث كانت هي البؤرة التي انطلقت منها هذه الأمراض، كما ظهر في التقرير الذي تناولناه في الفصل السابق.

هنالك قوانين ولوائح، رغم وضوح نصوصها في تضمين الخلاوي، إلا أنه أيضاً لعدم تحديد التبعية، يؤخر تنفيذها. على سبيل المثال، هناك لائحة تنظيم وضبط السلوك بالمؤسسات التعليمية، وهي لائحة صدرت بموجب أحكام المادة (٣٠) من قانون تخطيط التعليم العام وتنظيمه لسنة ٢٠٠١، وبموجب أحكام المادة ٥ (٢) (أ) (د) (ك)، والمادة ٢٩ (٢) من قانون الطفل لسنة ٢٠١٠. تنص المادة الثالثة من اللائحة على أن نطاق تطبيق هذه اللائحة على التلاميذ والعاملين بالمؤسسات التعليمية في التعليم النظامي في المدارس الحكومية وغير الحكومية المعرّفة في قانون تخطيط التعليم وتنظيمه لسنة ٢٠٠١، ويشمل التعليم ما قبل المدرسي وتعليم الأساس والثانوي؛ وكذلك التعليم غير المرحلي ويشمل خلاوي القرآن. إذن يشمل نطاق تطبيقها الخلاوي. ينص قانون الطفل في المادة ٥ - (٢) (أ): تتكفل الدولة برعاية وحماية الأطفال وتعمل على تهيئة الظروف المناسبة لتنشئتهم التنشئة الصحيحة من النواحي كافة، في إطار الحرية والكرامة الإنسانية والقيم الروحية والاجتماعية وفي بيئة صحية، (د) تكون لحماية الطفل ومصالحه الأولوية في جميع القرارات أو الإجراءات المتعلقة بالطفولة أو الأسرة أو البيئة أيّاً كانت الجهة التي تصدرها أو تباشرها، (ك) يضمن هذا القانون حماية الطفل نكراً أو أنثى من جميع أنواع وأشكال العنف أو الضرر أو المعاملة غير الإنسانية أو الإساءة البدنية أو المعنوية أو الجنسية أو الإهمال أو الاستغلال. أما المادة (٢٩) (٢) من قانون الطفل ٢٠١٠، فتتضمن على أنه لا يجوز توقيع أيّ من الجزاءات التالية على الأطفال بالمدارس: (أ) العقوبات القاسية، (ب) التوبيخ بالألفاظ المهينة للكرامة، (ج) الحرمان من حضور الحصة ما لم يتسبب حضور الطالب في عرقلة سير الدراسة، (د)

الطرد من المدرسة أثناء سير الدراسة، (٢) تحدد وزارة التربية والتعليم العام
الجزاء المناسبة لكل من يخالف أحكام البند (١) بموجب اللوائح التي
تُصدرها في هذا الشأن.

الجدير بالذكر أن لائحة تنظيم وضبط السلوك بالمؤسسات التعليمية،
نصت على تفسير ما حظره قانون الطفل لسنة ٢٠١٠، حيث تنص المادة
الثانية من اللائحة على التعريفات الآتية:

الألفاظ المهينة للكرامة: يُقصد بها كل لفظ أو قول يؤدي إلى التقليل
من شأن التلميذ أو يسبب له ألماً أو معاناة أو عزلاً اجتماعياً،
التوبيخ: يُقصد به الوسيلة التي يعبر عنها باللفظ أو الإشارة أو
الإيماءة بما يؤدي إلى الإساءة للتلميذ،

العقوبات القاسية: يُقصد بها أي من أنواع العنف بالفعل أو اللفظ
الذي تُستخدم فيه القوة أو السلطة أو التهديد بذلك، أو يسبب الألم أو
الأذى البسيط أو الأذى الجسيم أو قد يترتب عليه الإعاقة أو الموت أو
المعاناة، أو أي آثار أو أعراض نفسية أو اجتماعية ضارة على التلميذ.
العاملون: يُقصد بهم كل شخص يعمل في المؤسسة التعليمية بمن
فيهم شيوخ الخلاوي.

تنص المادة الرابعة على أن اللائحة تهدف لتحقيق الآتي: (أ) دعم
العلاقة بين المعلم والتلميذ وأسرته أو فيما بين التلاميذ وتنميتها
على أسس تربوية، (ب) تحقيق أعلى درجات الحماية، الأمن، السلامة
والاستقرار للتلميذ، (ج) تهيئة وتأمين بيئة صديقة للتلميذ داخل المؤسسات
التعليمية، (د) تشجيع العاملين بالمؤسسات التعليمية على تعزيز السلوك
الإيجابي وتعديل السلوك السلبي وتطبيق البدائل التربوية، (هـ) تحقيق

المبادئ الأساسية لحقوق الطفل المتمثلة في مراعاة المصلحة الفضلى، المساواة وعدم التمييز، الحق في البقاء والنماء، وإبداء الرأي والمشاركة، (و) اتخاذ تدابير لتشجيع الحضور المنتظم في المؤسسات التعليمية والتقليل من معدلات ترك الدراسة، (ز) تعريف العاملين بالجزاءات المحظورة داخل المؤسسات التعليمية والبدائل التربوية اللازمة. (ح) حماية التلميذ من جميع أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية أو الإهمال أو المعاملة القاسية أو المهينة أو الإنسانية أو التهديد أو العقوبات التي تمس الكرامة الإنسانية.

تنص المادة (١٥) من اللائحة على أنه يُحظر على المؤسسات التعليمية تطبيق العقوبات القاسية؛ وعلى وجه الخصوص يحظر القيام بأي فعل من الأفعال الآتية:

(١) الضرب أو الجلد الذي: (أ) يسبب الألم أو المعاناة، (ب) يؤدي إلى الجروح أو الكسور، (ج) يؤدي إلى نزف خارجي أو داخلي، (د) يؤدي إلى الإعاقة أو الشلل.

(٢) الضرب أو الجلد على: (أ) الردفين أو الظهر، (ب) الأماكن الحساسة، (ج) الوجه أو الخد أو الرأس كاللطم أو الصفع أو الرفس أو الرج أو الرمي أو الخدش أو القرص أو العض أو الخنق أو نتف الشعر أو قرص الأذنين أو الحرق أو الكيّ.

(٣) الدفع على الأماكن الصلبة.

(٤) التهديد أو الترهيب أو التخويف برفع اليد للمدى الذي يسبب الأذى.

(٥) التكليف بالأعمال الضارة والتي تؤثر على صحته وتعليمه.

(٦) الإرغام على البقاء في وضع غير مريح.

(٧) المعاملة المنطوية على إهمال.

(٨) أي عقوبات قاسية أخرى.

تنص المادة (١٦) على أنه يُحظر على أيٍّ من العاملين بالمؤسسات التعليمية معاقبة أي تلميذ أو التهديد باستخدام أي من الأدوات الآتية:

(١) سياط العنق أو أي نوع آخر من السياط أو عصا أو حزام أو حذاء،
(٢) الأيدي والأرجل للدفع أو الضرب أو الرُّكل، (٣) المواد الخشبية الصلبة أو السياط من الأشجار بأنواعها المختلفة أو المواد المعدنية، (٤) الأدوات البلاستيكية أو الأسلاك بأنواعها المختلفة، (٥) إجبار التلميذ على القيام بأفعال كغسل فمه بالصابون أو أي مواد أخرى أو إرغامه على تناول مواد كابتلاع توابل أو ما شابهها، (٦) أي أدوات أخرى قد تسبب الألم أو المعاناة.

تنص المادة التاسعة على موجهات تعديل السلوك السلبي، والتي تتمثل

في:

(١) أن تتيقن إدارة المؤسسة التعليمية والمعلمون من إزالة الظروف التي تؤدي إلى السلوك السلبي، وأن تعتمد إلى اتباع الموجهات التالية: (أ) التعريف بلوائح ونظم المؤسسات التعليمية، (ب) رسم وتنفيذ البرامج والأنشطة الكفيلة بإشاعة الاحترام المتبادل والمودة والعلاقات الإنسانية بين التلاميذ والعاملين بالمؤسسة التعليمية، (ج) مراعاة العدل والمساواة وعدم التمييز في المعاملة بين جميع التلاميذ، (د) مراعاة خصائص نمو التلاميذ ومشكلاتهم واحتياجاتهم في جميع مراحل نموهم؛ وعلى الأخص مرحلة المراهقة،

(هـ) التنسيق بين معلمي الفصل الواحد فيما يتعلق بالواجبات المدرسية والاختبارات، بحيث يتحقق التوازن في العبء الدراسي خلال أيام

الأسبوع، وحتى لا يضطر التلميذ إلى التقصير في جانب لحساب جوانب أخرى، (و) مراعاة ظروف واحتياجات التلاميذ ذوي الإعاقة وتفهم دوافعهم وسلوكهم، (ز) تفعيل الدور التربوي للمعلم حتى يتمكن من التعامل بنجاح مع مشكلات التلاميذ، (ح) التأكيد المستمر على شعار القدوة الحسنة كأحد المبادئ التربوية الأساسية في العلاقة القائمة بين العاملين بالمؤسسة التعليمية والتلاميذ، (ط) العمل على تقوية العلاقة بين المنزل والمؤسسة التعليمية من أجل إنجاح عملية المشاركة في الرعاية التربوية السليمة.

(٢) أن يسبق تطبيق أساليب تعديل السلوك إدراك الحقائق التالية: (أ) أن الأساليب تطبق لذاتها لا تنفيساً عن غضب أو انتقام، وإنما تتم في إطار أهداف توجيه السلوك، (ب) أن الأصل في التعامل مع التلميذ هو احترام شخصيته ومشاعره وتقديم أساليب التعزيز على وسائل التعديل، (ج) الصبر والحلم والأناة وكظم الغيظ هي سمات مطلوبة في شخصية المتعاملين مع التلاميذ، (د) مراعاة الظروف والملابسات التي وقع فيها الخطأ، ومدى تكراره وكذا الفروق الفردية بين التلاميذ، (هـ) أن أساليب تعديل السلوك تحقق فعاليتها عندما ترتبط بالتعزيز الإيجابي، وضرورة التوازن في الإجراءات المتبعة بين التعزيز وتعديل السلوك.

(٣) أن تخلو أساليب تعديل السلوك السلبي من الإيذاء البدني والنفسي، وألا تتضمن بأي شكل التعنيف أو التجريح أو الإهانة أو التهكم،

(٤) أن تركز أساليب تعديل السلوك السلبي على سلوك التلميذ لا على شخصه،

- (٥) ألا يكلف المخطئُ بعمل لا صلة له بالخطأ،
 (٦) ألا تستخدم زيادة الواجبات المدرسية كأسلوب لتعديل سلوك لدى التلميذ،
 (٧) أن تطبق على التلميذ المخطئُ بشكل فردي،
 (٨) أن يتم التحقق من وقوع الخطأ،
 (٩) أن يكون تطبيق أساليب تعديل السلوك آنية ومناسبة،
 (١٠) أن يلفت انتباه التلميذ المخطئُ إلى تلاميذ آخرين كوفئوا على سلوكهم الإيجابي
 (١١) أن يسبق ويرافق تطبيق أساليب تعديل السلوك إشعار التلميذ ووليِّ أمره بأسبابها.

تنص المادة (١٧) على: يُحظر على أيٍّ من العاملين بالمؤسسات التعليمية التوبيخ بالألفاظ المهينة لكرامة أي تلميذ، كالألفاظ الجارحة أو ما شابهها أو التشبيه بالحيوانات أو الطيور، أو البصق على الوجه أو سبِّ الديانة أو العقيدة أو سبِّ القبائل أو الإساءة إلى الأسرة أو إلى أحد أفرادها أو السبب بالإعاقة. كما تنص اللائحة أنه على وزارة التربية والتعليم ووزارة العمل والتنمية الاجتماعية تخصيص إخصائي اجتماعي ونفسي في المؤسسات التعليمية كافة.

تنص اللائحة على البدائل التربوية البديلة للعقوبات القاسية بصورة مفصلة، كما نصت على تحفيز الذين يستخدمونها، كما حددت اللائحة موجهات تعزيز السلوك الإيجابي، أساليب تحفيز السلوك الإيجابي، تعديل السلوك السلبي، موجهات تعديل السلوك السلبي، معالجة السلوك السلبي، أساليب تعديل السلوك السلبي. ثم وضحت المادة (٢١) الجزاءات

لم يخالف أحكام اللائحة والتي تصل إلى الفصل من ، وذلك دون المساس بحق المتضرر في اللجوء إلى الإجراءات الجنائية.
هنالك توصيات المجلس القومي لرعاية الطفولة ووزارة الرعاية والضمان الاجتماعي.

هنالك العديد من التوصيات السابقة بشأن إصلاح وتغيير وضع الخلاوي، من مؤتمرات أقامتها الدولة ومن دراسات علمية ومن سماعات وندوات أقامها المجتمع المدني وغير ذلك، وكلها تصبُّ في ضرورة تغيير وإصلاح واقع الخلاوي.

هنالك توصيات المجلس القومي لرعاية الطفولة ووزارة الرعاية والضمان الاجتماعي، وتقوم على مرحلتين:

– المرحلة الأولى (مرحلة الإسعافية) يتم فيها إنشاء آلية قومية

تحت إشراف رئاسة الجمهورية؛ لتحقيق الأهداف والمهام الآتية:

١- التنسيق بين المستويات الحكومية ذات الصلة على المستوى الاتحادي والولائي والمحلي.

٢- التواصل والتشاور مع الطرق الصوفية والجهات المهمة التي تتبع لها الخلاوي.

٣- إجراء مسح شامل لحصر وتصنيف الخلاوي وأوضاعها وإعداد دراسات تفصيلية بناءً على ذلك.

٤- اقتراح تشريع لوائح تنظم التعليم في الخلاوي.

٥- اقتراح سياسة وخطة استراتيجية للتعليم في الخلاوي.

٦- اقتراح معايير قياسية لإنشاء وتشغيل وتأسيس الخلاوي.

٧- اقتراح مخطط منهج موحد للتعليم بالخلاوي.

٨- تنفيذ برامج وتدخلات إسعافية لتطوير بيئة الخلاوي خاصة من حيث الصحة والسكن.

٩- توظيف الموارد العينية والنقدية المتاحة واستقطاب المزيد لتطوير الخلاوي.

- المرحلة الثانية وهي المرحلة الاستراتيجية (الإدماج الكامل):

١- إجازة واعتماد التشريع أو اللائحة القومية لتنظيم التعليم في الخلاوي والتي تحدد الجهة الحكومية التي تتبع لها إدارة التعليم في الخلاوي.

٢- إجازة واعتماد السياسة والخطة الاستراتيجية القومية للتعليم في الخلاوي.

٣- إجازة واعتماد المقاييس لإنشاء وتأسيس وتشغيل الخلاوي، بما في ذلك توفير بيئة حامية للأطفال.

٤- إجازة واعتماد المنهج الموحد للتعليم في الخلاوي.

٥- استيعاب مشايخ الخلاوي (المعلمين) ضمن الهيكل الرسمي للدولة.

٦- تخصيص واعتماد موازنة سنوية للتعليم في الخلاوي ضمن الموازنة العامة للدولة.

هنالك العديد من توصيات مؤتمرات التعليم ومن أهمها تغيير واقع الخلاوي، وهي من أكثر التوصيات تكراراً.

هنالك أيضاً دراسة نُظِمَ تعليم القرآن الكريم في السودان للبروفسير سليمان عثمان محمد، مدير جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وبها ملاحظات^(٦٤) وتوصيات لتطوير الخلاوي: ومما جاء فيها أن معلم القرآن

٦٤- سليمان عثمان، مجلة جامعة القرآن الكريم، نظم تعليم القرآن الكريم في السودان، العدد التاسع، ٢٠٠٤.

يحتاج إلى تأهيل وتدريب تربوي وإلى معرفة وسائل وأساليب التعليم، تعتمد الخلوة على وسائل التعليم التقليدية وتحتاج إلى تحديث الوسائل والإفادة من تقانة المعلومات، لا يشتمل منهج الخلوة على دراسة العلوم الشرعية التي تعين الطالب على فقه الدين وصحة العقيدة، يحتاج طالب الخلوة إلى قدر مناسب من علوم الحياة التي تساعد على ارتباطه بالمجتمع، لا تعتمد طريقة التعليم في الخلوة منهج تفسير الآيات وبيان معاني الكلمات لتذليل صعوبة الحفظ. ذكرت الدراسة وسائل التطوير، وهي: (١) دعم البرامج العلمية في مجالات إعداد المتخصصين في تعليم القرآن الكريم (الخبراء والموجهين الفنيين)، (٢) تدريب معلمي القرآن الكريم على الطرق التعليمية والأساليب التربوية الحديثة، واستخدام الوسائل التعليمية المعاصرة، (٣) تسخير وتوظيف استخدام تقانة حفظ المعلومات المعاصرة في تيسير حفظ القرآن الكريم وتحديث الوسائل التعليمية، (٤) أن يُضاف لمحتوى منهج مدارس تحفيظ القرآن الكريم دراسة العلوم الشرعية واللغات والرياضيات والعلوم الاجتماعية والعلوم التجريبية والمناشط التربوية، بما يؤهل الطالب للمشاركة الفاعلة في المجتمع.

بالنسبة إلى مَنْ يقوم بالتعليم في الخلاوي وفي بقية المؤسسات التعليمية، يجب تأهيل كل المعلمين والعمل على وضع ضوابط لتحديد مواصفات وشروط المربي والمعلم. إن تأسيس آلية كسلطة قومية تؤهل المربي والمعلم وتمنحه الرخصة، يجب أن يجد الأولوية عند وضع استراتيجية لأي دولة. إن إنجاز هذا العمل في مكان واحد يوفر بيئة علمية وعملية لممارسة السلوك التربوي بجانب إتقان مهارات التعليم والتربية، وهو بهذا الشكل تسهل السيطرة عليه، عكس أي أوضاع أخرى تنشئت فيها عمليات تأهيل

المعلم المربي بين عشرات المراكز والكليات. اعتماد زمالة المعلم كسبيل لترقية المهنة على أن تُعدَّ رخصة ملزمة لمن يود ممارسة المهنة واعتماد المعايير الأخلاقية بجانب الأكاديمية في اختيار المعلمين^(٦٥).

- إصدار لائحة تُعرِّف الخلوي ومعاييرها أسوة بمراحل التعليم الأخرى. نجد المادة (١٤) من قانون تخطيط التعليم العام وتنظيمه لسنة ٢٠٠١ قد حددت أقسام التعليم من ضمنها الخلوي (التعليم غير المرحلي)، لكنها لم توضح أو تحدد أعمار الأطفال أو سنوات الخلوة أو أي معايير، بالرغم من أن المادة نصت على أن مرحلة التعليم ما قبل المدرسي، لمدة سنتين، للأطفال من سن الرابعة حتى سن السادسة، ومرحلة تعليم الأساس، لمدة ثماني سنوات، والمرحلة الثانوية، لمدة ثلاث سنوات، عدا الخلوي. وضع معايير وشروط واضحة للخلوي وتبعيتها وأن يُطبق فيها كل ما يطبق على المؤسسات التعليمية والتي عرفها قانون تخطيط التعليم العام وتنظيمه لسنة ٢٠٠١ بهذا المكان المهياً فنياً وصحياً لعملية التعليم والتربية، وفقاً للمعايير التي تحددها الوزارة.

- العمل على إدخال الخلوي في برامج الخدمة المدرسية (توفير باحث اجتماعي/ نفسي لكل خلوة).

- وضع معايير قياسية وإعداد لائحة صارمة تعمل على تحديد أسس وضوابط ومعايير للخلوي، في ظل وجود إشراف ورقابة أسوة بالمؤسسات التعليمية وتوفير بيئة حامية للأطفال، وأن يتم تحديد تبعية الخلوي بصورة واضحة وتحديد مهام وأدوار الشركاء والعمل على الاستفادة من وسائل التعليم والتقنية الحديثة في تعليم أطفال الخلوي.

٦٥- محمد حسين أبوصالح، ورقة التخطط الاستراتيجي للتعليم، الخرطوم، يناير ٢٠١٢.

- تقييد نقل/ استجلاب الأطفال من ولاية إلى أخرى وعدم فصلهم من أسرهم للتعليم في الخلاوي في ولايات أخرى، وتشجيع التعليم داخل ولايتهم في ظل بيئتهم وقرب أسرهم؛ حتى لا يتم استغلالهم. ومن الشائع في المسلمين الرحلة في سن النضج لتلقي المزيد من العلم من عدد أكبر من الشيوخ؛ مما يؤدي إلى كثرة الاطلاع واتساع الفكر (هنالك أطفال في عمر الخامسة والسادسة تم استجلابهم من الولايات لخلاوي في الخرطوم، حسب تقرير المجلس القومي لرعاية الطفولة).
- إلزام ديوان الزكاة ومفوضية العون الإنساني بأن يكون الدعم مخصصاً فقط للخلاوي التي لديها تصديق بممارسة العمل من قبل وزارة التربية والتعليم.
- بما أن قانون تخطيط التعليم، ينص على أنه لا يجوز تسجيل أي مؤسسة تعليمية ما لم يتم الحصول على موافقة بذلك من سلطة التعليم المختصة وفقاً لأحكام اللوائح؛ وعليه فيجب أن يشمل ذلك الخلاوي.
- علينا أن نعمل بكل جهدنا من أجل تحقيق العدالة لهؤلاء الأطفال، ونحرص على أن تكون أولوياتنا هي الالتزام بالإيفاء بحقوق هؤلاء الأطفال دون تمييز، وأن نضع تغيير واقع أطفال الخلاوي في قمة الأولويات وأن نعمل من أجل خلاوي جديدة بحفظ كتاب الله - عز وجل - وتليق بجلاله وعظمته وبتعليماته. إن عالم الغد والنمو في المستقبل يعتمد كثيراً على بقاء وصحة وتعليم أطفال اليوم، الذين هم نساء ورجال الغد. فالعمل من أجل ضمان جودة تعليمهم وحمايتهم هو استثمار في مستقبلنا، وعليه نعمل لتمكين هؤلاء الأطفال من الحصول على حقوقهم التعليمية والصحية وغيرها، وهذا سيسمح بقدر أكبر من المساواة.

ختامًا، أهم ما يتطلبه الأمر، هو الإرادة السياسية القوية الصادقة التي تؤمن بحقوق هؤلاء الأطفال، ولا تسعى لاستغلالهم باسم الدين أو تجعلهم مزارًا أو مُتَنَفِّسًا لها وهي ترى مرارة واقعهم.

اللهم إني قد بلغت فاشهد.

(وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)).

صدق الله العظيم.

عن المؤلف

ياسر سليم شلبي من مواليد وادي حلفا في مايو ١٩٦٣، حاصل على بكالوريوس الآداب في اللغة الإنجليزية من كلية الآداب بجامعة الخرطوم، وعلى بكالوريوس الشريعة والقانون من كلية الشريعة والقانون بجامعة أم درمان الإسلامية، وحصل على دراسات متقدمة في مجال حقوق الطفل (دبلوم حقوق الطفل من مركز "من طفل إلى طفل" بلندن - المملكة المتحدة، ودبلوم تدريب مدربين من مؤسسة جيتس بسان فرنسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية).

عمل مديراً تنفيذياً لجمعية أصدقاء الأطفال، ثم مديراً تنفيذياً لشبكة حقوق الإنسان والعمون القانوني ومديراً في مجال حماية الطفل لقوات الاتحاد الأفريقي بدارفور، ثم مديراً تنفيذياً لمعهد حقوق الطفل. وهو عضو بالمكتب التنفيذي للمنظمات الأفريقية العاملة في مجال الطفولة بمالي، ومنسق شمال أفريقيا للحركة الأفريقية للأطفال. عمل خبيراً بالمجلس القومي لرعاية الطفولة، كما عمل مؤخراً مديراً لبرنامج أطفال الخلاوي بالمجلس.

شارك بفعالية في العديد من مؤتمرات الطفولة الدولية والإقليمية والمحلية، ولديه العديد من الكتب والدراسات في مجال الطفولة.

القريب في أمر الذين يرفضون تغيير واقع الخلاوي، أنهم يعرفون
بينتها جيداً، و لا يلحقون أطفالهم أبداً بها، بل يرسلونهم إلى أفضل
المدارس ذات البيئة الآمنة والجاذبة والنظيفة، والتي بها كل وسائل
التعليم الحديثة، وهنا تبرز الأنانية والنظرة التمييزية الضالمة، التي
تأبى إلا أن تترك الخلاوي هكذا، وتستخسر عليها المطالبة بتغيير
بينتها وواقعها للأفضل، وأن تكون لها تبعية حقيقية واضحة، مثل
بقية مؤسسات التعليم، و إداراتها وفق شروط ومعايير للتصديق،
وللمعلمين وتحديد للأعمار والتفتيش والمحاسبة .. الخ .
عجباً!، يشاهدون حولهم في الدول العربية والإسلامية، كيف تطورت
الخلاوي أو ما تعرف بالكتاتيب تعظيماً لكتاب الله الكريم .
هذا هو واقع أطفال الخلاوي، لا خير فينا إذا لم ننقله بأمانة، تبجيلاً
لكتاب الله سبحانه وتعالى ولنسئ نبيه عليه الصلاة والسلام، وللوقوف
أمام ما لا يستقيم مع تعليم كتابه الكريم، لا خير فينا إذا لم نعمل على
تغيير واصلاح هذا الواقع الملى بالانتهاكات والممارسات والفظائع،
الذي هو منكر تنكره النفوس السليمة، وهو مناقض لتعاليم كتاب
الله لشريحة لا حول لها و لا قوة من الأطفال. لا نود أن نكون من الذين
يرضون لأطفالهم أفضل بيئات وأساليب التعليم، ويرضون لغيرهم
هذا الواقع المرير، يجب أن تكون الخلاوي جديدة حقاً بكتاب الله تعالى
العزیز الكريم.

ردمك 978-99988-0-637-5 ISBN

رقم الإيداع القانوني

(2022/002490405)